أشجار وجذور

للكاتب

سيد أحمد أمين رسلان

أشجار وجذور

تصنيف: رواية

المؤلف: سيد أحمد أمين

رقم الإيداع:

١١٨٧٥\\٢٠١٩

ردمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٣٠-٢٥-٠

تنسيق داخلي : ايمان ابو الغيط السيد

الإخراج الفني:

موقع اسرار للنشر والتوزيع الالكترونى

إهداء

أهدى هذا العمل لأبوي ولكل من له حق علي من معلمين وجيران وأصدقاء.

الفصل الأول

كبر أحمد وفكر في ما مضى من عمره فالأيام والليالي تمر بلا جدوى وشبح العمر يطارده دوماً، فكم حلم بأنه سيكون له شأْنٌ في المجتمع ولكنها الدنيا تسرق الأماني وتخطف الأَحلام فأحمد أتي من ليبيا، فقد كان بين الجبال والوديان والسهول فكان لا يرى إلاّ الرمال وبعض الزروع من حوله، فلم يعتاد على الأطفال والزحام فيلعب وحده بالأحجار والرمال وبعض الألعاب البدائية فإنه إذا أراد أن يلعب مع الأطفال منعوه في أغلب الأحيان، فيذهب أحمد إلى مكانٍ أعلى البلدة به بعض

النخيل اليافع والأشجار الملتفة وهذا المكان به من السعة ما يتسع لشباب أهل البلدة كلهم وبه ملعبين ملعب كبير وآخر صغير، فالملعب الكبير لمن هم فوق العاشرة والملعب الصغير لمَّن هم دون العاشرة، فيلعب هؤلاء في الملعب الكبير ويلعب هؤلاء في الملعب الصغير وأحمد يشاهدهم عن كثب فلا يلعب مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وعندما أراد أن يلعب معهم أوقفوه حارث مرميَ، ففرح بذلك أشد الفرح وعاد إلى البيت به من السرور ما يكفي لأن يسعد أهل البلدة كلهم؛ فأحمد كان يضربه أبيه بشدة وقسوة لدرجة أنه كان يبول على ملابسه من

الفزع والخوف فهذا الأب " معوض" كان يشبه عنترة العبسي في لونه وقوة بأسه، فدائماً تراهُ وقد شاط غضباً فيضرب زوجته عزيزة كل يوم تقريباً، فيأتي الناس ليرفعوا عنها الأذى والضرب فيدفعهم ويسبهم وربما سمعوا منه ما يؤذيهم، وربما ضربهم فهو حاد الطبع سريع الانفعال وهذا لطبيعة عمله في الحقل طوال النهار وتحت لهيب الشمس الحارقة وبرد الشتاء القارص، فيعمل وحده فلا أيّ أحد يساعده، فهو يسير أكثر من خمسة أكيال من الكيلو مترات يومياً في الذهاب وفى الإياب وربما حمل فوق ظهره عبوة من الغلال حتى يصل إلى

البيت، فتراه يدخل المنزل وقد تصبب منه العرق من جبينه فيجلس على الأرض ويمد رجليه أمامه ويشعل سيجارته ويضع جلبابه جانباً، فيجلس بسرواله الأبيض ويلقي بعمامته البيضاء على الأرض ويكشف عن يديه اًلمفتولتين اللاتي تأثرتا من كثرة العمل بمذراته الطويلة التي لها خمسٌ من الأصابع فيظل طوال النهار يرفعها إلى أعلي وينزل بها إلى أسفل ويعمل أيضاً بغرباله الملفوف بأنواعه المتعددة الذي يتخلله عشرات الثقوب الصغيرة فيلقي بمًا يشوب الغلال من أذىً وضرر، فتصبح الغلال صالحة للزراعة وتأتي عزيزة بالطعام على مائدة

صنعت من زعف النخيل وقد وضعت عليها رقائق الخبز وبعض قطع الجبن وشرائح البطاطس المقلية وبعد أن يهم ليأكل تشكو له عزيزة ما فعله أحمد وعليّ من أخطاء معها أو مع الناس، فيترك معوض الطعام وربما ألقاه وبعثره في أنحاء الغرفة ثم يضرب أحمد وعليّ أو أحمد وحده أو عليّ وحده وربما أوثقهم في السرير وأخذ يصرخ ويرفع صوته كأنه يتشاجر مع عشرات الرجال، فيسب ويلعن ويترك المنزل إلى الخارج وبعد قليل يذهب إلى عمله فلا يعود حتى العشاء، فيذهب أحمد إلى هذا المكان المرتفع ليرجم النخل بحبات الحجارة الصغيرة

حتى يسقط التمر فيأتي الصبيّة الأصغر منه في العمر فيجمعون له الحجارة وهو يرجم النخل وبعدها يجمعون له التمر، ويأتي صاحب المكان فيجري وراءهم فينزلون من على السور المرتفع بسرعة وهم يقفزون فلا يلحق بهم، وهكذا يعاودون الكرّ والفرّ عدة مرات فلا يمَلّون أبداً من ذلك، ويعطي أحمد كل واحد منهم قسمةً بالتساوي، فقد كان أحمد يمتلك من القوة ما يجعله كأبيه فأحمد مملوء الجسم قوي الذراع طيب القلب يحب الناس والناس تحبه ومع ذلك فهو يكنُّ الحب لأبيه وأمه فيأخذ لهما التمر الذي جمعه كله ويعطي ما معه لهما، وبعد ذلك

سافر "معوض" إلى "السعودية" وترك "أحمد" وعلى" وأمهما معاً، وكانت القرية لم تزل مظلمة في الليل فلم تدخلها الكهرباء ولا المياه بعد، فكان أحمد يلعب مع بعض الجيران لعبة" الأُستغمايةّ" والظلام يغطي القرية كلها فيبحثون عن بعضهم بالساعة وأكثر والظلام يسترهم وبعدما ينتهون من اللعب يذهب أحمد لينام، فتغلق أمه بابها من بعد العشاء وينام أحمد تحت الضوء الخافت حيث ضوء المصباح الذي يوقد بالجاز ويسمونه "اللمبة أم عَويلٍ"، فيخرج منها الدخان الذي يتصاعد إلى أعلى سقف المنزل المصنوع من سيقان النخل

وجريدها، فترى السقف وقد اسودّ لونه من دخان المصباح والمدفئة التي توقد من جذور الشجر وبقايا الزروع فترى "الوزع" أو ما يسمى "بالبرص" يمشي تحت السقف ولا يهاب أي أحد، فيظل أحمد طوال الليل يقتل "الوزع" مرة "والبراغيث" الكثيرة مرة فلا "الوزع" ينفد ولا "البراغيث" تفنى، فيمر الليل على أحمد أطول ما يكون ويستيقظ مبكراً كعادته فيذهب ليأتي "بالخبز" "والطعميّة" والمخلل" له ولأخيه ولأمه التي تنام علًى سرير هي وعليّ أما أحمد فينام على أريكة لوحده مما يجعله يحس بأنه ربُّ البيت، فقد كان أحمد هادئ الطباع طيب

القلب وكل الناس تحبه فلا يكثر الكلام ولا الهراء ولا يكثر الاختلاط بالناس من حوله، فهم يقطنون في منزل يتكون من طابق واحد به ثلاثة من الغرف، فغرفة ينامون فيها وأخرى أعُدت للبهائم التي تخلو من البهائم وثالثة قد هدمت عندما كانت عزيزة هي وأحمد وعليّ في الوحدة الصحية، فلما رجعوا وجدوا هذه الغرفة قد هدمت فحمدت عزيزة ربها على ذلك، أما المنزل فبينه وبين الشارع ما يشبه السور العظيم فقد شّيد من أجل الفيضان الذي كان يأتي من نهر النيل وبين السور والمنزل من الفراغ ما يكفي لأن يلعب أحمد وعلىّ كلما يشاؤون من قفز

بالعصاة ولعب بالحجارة والكرة والحفر فقد اشترى أحمد "كرة" جديدة وكان يحلم بها فجاءهم ابن خالهم "كمال" فلعب معهم بعض الوقت، فضرب الكرة في الجدار المبني من الحجارة المدببة، فمزق الكرة على الفور فغضب أحمد وبكى بكاءً كثيراً وغضبت أمه وأخذت تصرخ في أم كمال أما أحمد فما زالت تلك الحادثة يذكرها وتذكره بها أمه عندما كانت تغضب منه فتقول له:

أين الكرة التي مزقها لك كمال؟

فعزيزة كانت تمتلك ذاكرة تختزل عليها آلاف الأحداث من زواج ووفاة وحوادث فكانت تذكر

مآسي الناس وأحزانهم فتحكي لأولادها ما حدث معهم في ليبيا وتحكي عندما جاء أبو الجود الليبي ليأخذهم إلى ليبيا فتصفه كأنه يقف أمامها، فتقول:

كان أبو الجود أبيض الوجه طويل القامة يضع عباءة على ملابسه فلا ينطق إلا بالقليل من الكلام ثم سافرنا في ما يقرب من ثلاثة أيام متواصلة فتقول لأحمد:

كنت يا أحمد لم تزل في صغرك لم ينبت لك أي شعر ولم تحبو بعد ولم تتكلم وكنت ترضع وظللنا طوال الطريق ننزل برهة من الوقت نأكل ونشرب ونقضي حاجتنا ونركب السيارة نفعل

هذا عدة مرات ومعنا محمد أبو داود وزوجته سمية وكانا يتشاجران مع بعضهما دوماً، وكانت معنا فوزية وحسين أولاد سالم فكان حسين وفوزيه قد سافرا على أنهما مًتزوجان من بعضهما فشروط السفر إلى ليبيا لا يسمح وقتها إلا للمتزوجين بالسفر، وكانت عزيزة تصف كل شيء لأحمد وعلي كأنهم ما زالوا هناك وفى وسط الهدوء والضوء الخافت وبصوتها الدافئ الحنون تتكلم بدون تكلف أو تشدق فهي لم تنهي أي مرحلة تعليمية أبداً، ولكنها تقرأ وتكتب بعض الشيء فتجلس على الحصيرة المصنوعة من الأعواد الرفيعًة وقد أسندت ظهرها بجوار

الجدار المبني بالطوب اللبن فتحكي لهم ما حدث عند وصولهم إلى أرض ليبيا حيث الصحراء الجرداء المقفرة الخالية من الناس وبها الرمال المتناثرة والجبال والفيافي والوديان والسهول التي تحيط بهم فتقول:

يا أحمد الغرف كانت مظلمة ولا ترى أيّ أحد على مرمى البصر إلا

بعض الثعالب والكلاب والذئاب فنزلنا إلى مكان يلقبونه "بالحوش" والغرف "بالبراقة"، فتسقط علينا العقارب من السقف وتحيط البراغيث والبق والقمل بنا، وكنت أحرسك يا أحمد طوال الليل وأخشى عليك من الهوام

والحشرات، فلا أذوق النوم طول الليل وأطفئ السراج حتى لا تجتمع العقارب على النار وينزل أبيك إلى الحقل فيغرس البصل والطماطم والبطاطس ويسقي الزرع ويسهر لياليه كلها هكذا يعمل في كد وتعب وتحمّلٍ لمرارة العيش، وظللنا هكذا لا طعام لنا و لا شراب إلا القليل أما محمد أبو داود فكان يسب ويلعن ولا يعمل إلا القليل بسبب ضعف بنيته وقلة عزمه فيأتي صاحب المزرعة وكان يدعى "أبو عُجيّلة" وعمره أكثر من السبعين عاماً فيضرب " محمد أبو داود" بمنسأته وينهره قائلاً:

قم يا عسكر سوسة يا خمان يا وهابً، فيسبه بلهجتهم الليّبية فيمتلئ "أبو داود" بالغضب والَحنق ويسب ويلعن أكثر وأكثر وزوجته سميّه تتكلم بكلام لا يفهم فتتكلم كالمجنونة وتصرخ كالثكلى، مرة بسبب زوجها وحالها ومرة بسبب بنتها منى ومرة بسبب قلة الزاد من المأكل والمشرب، وتستطرد عزيزة كلامها عن بنات الحاج أبو عُجيّلة، "خديجة "ومروانة، فتقول عنهما:

أنهما يحبان مجالستنا والمكوث عندنا فيضحكان ويغنيان معنا وتقول عزيزة لما يئسنا من قلة المأكل والمشرب تعاهدت بأن أجبر

الحاج أبو عجيلة على أن يأتي لنا بما نريد فأتيت بإناء به من الشحوم الكثير فأهرقته في طريقه إلي المزرعة لما علمت بوصوله، فجاء يصرخ وينادي:

يا معوض ... يا معوض، أي يريد أن يأتي إليه معوض، فأتى

معوض مهرولاً فقال:

ماذا حدث يا حاج؟

ما بك ماذا جرى؟

فقال له انظر إلى الشحم الملقى على الطريق فمن فعل هذا؟

فذهب معوض يجري حتى وجد سميّة فقال لها من فعل ذلك؟

فلماّ صرخ فيها ونظر إليها بعينيه التي تشع حمرة وشرراً، فقالت على الفور إنها عزيزة التي أمرتني أن أفعل هذا فصفعها على وجهها ومضى إليَّ فانهال علي ليضربني، فأسرع الحاج "أبو عجيلة" نحوي وأبعده عنى وقال:

كفي يا معوض، فمنعه عنى وجلسنا بعدما هدأ معوض، فقال "أبو عجيلة":

ماذا تريدون؟

فقلت نريد "السمن والدقيق واللحم والزيت"، فقال:

لكم ما تريدون وزيادة، وبعد يومين أتى لنا (بالزيت والسمن والدقيق وخروف كل إسبوع)، فكنت أجفف اللحم وأعلقها على الحبال لأحفظها وأتيت بالطوب الآجر لأصنع التنّور لأخبز عليه الخبز المصري، فكنت أخبز الخبز المصري فيأتي لنا كل مصري حولنا ممن يعملون في المزارع المجاورة، فيقول "أبو عُجيّلة" :

أقاربكم كثيرين يا مصري، فكنت أطهو لك كبد الخروف وأدغدغه لك بأسناني وأطعمك إياه، وتستمر عزيزة في كلامها عن ما رأته في رحلتها إلى ليبيا فتقول:

كان معنا "حسن المصري" وكان هذا الرجل نعم الأخ ونعم الصديق لأبيك يا أحمد، فقد كان يحب أبيك ويخلصان لبعضهما أشد الإخلاص، فقد كان يُكِنّا لبعضهما كل الاحترام والوفاء والتقدير، فكنت أقول عنه إنه شقيقي حتى يأتينا إلى المزرعة فلا يجوز عند هؤلاء القوم أن يأتي أيٌّ شخص لا يمَّت لنا بأيّ صلة إلى هنا فتقول:

كان حسن المصري مستغرقاً في نومه ليلة ما، فصفع زوجته على وجهها فقامت فزعة وقالت ماذا حدث؟

ماذا جرى؟

فقال لها لم أكن أضربك أنت كنت أقصده هو، فقالت عزيزة:

لقد لطمه الرجل الليبي الذى يعمل عنده على وجه، فكان يبكي ويقول:

لو كان هذا الرجل عندنا في مصر لرددت له الصاع صاعين، ثم نظرت عزيزة إلى أحمد وقالت له:

يا أحمد إن أباك كان يأتي لك "بالبرتقال" وصندوق "البسكويت" فأضع لك "البسكويت" في "الشاي" وأطعمك إياه وكنت تلعب في المزرعة وتحبو أنت "ومنى" بنت "محمد أبو داود"، ولما وقفت يا أحمد وسرت على قدميك كنت تقطف

"البرتقال" من المزرعة، فكانت هذه الكلمات يتردد صداها في أذنيّ أحمد دائماً ولا سيّما عندما قالت له:

لقد بحثنا عنك في يوم من الأيام فلم نجدك، وأخذ أبوكً يبحث عنك كالمجنون في كل مكان، فينزل البئر حتى قعره، وينزل بئراً آخر، فلا يعثر عليك حتى رآنا "أبو عُجيّلة"، فتتبع أثرك حتى وجدناك عند "محمد أبوداود" تأكل أرزاً مع "منى" ابنتهم في "البراقة" وحدكما، وفي يوم من الأيام كنت تلعب بالحشرات والتراب وأنت تحبو، فإذا بثعبان يأتي وأنت كذلك، فلما رآك أبوك تلعثم وأخذ يبحث عن حجر ليضرب به الثعبان

حتى وجد الحجر فقتله وحملك على ذراعيه وأخذ يقبلك، وفى يوم من الأيام كان أبوك يسقي المزرعة "بالرشاشات" ففتح" طلمبات" المياه، فاذا بشيء يسد فتحة الماسورة فقال لي:

تعالى وافتحي المحبس وأنا سأمسك بعصاة وأضربه، ففعلت ما أمرني به فخرج من الماسورة تمساح كبير، فانهال عليه بالعصاة يضربه حتى قتله، فلما علم "أبو عُجيّلة" بما حدث، فقال لهما في مبالغة منه:

لقد فعلتما شيئاً عظيماً، فلو تركتماه لقتلنا جميعاً وأكلنا، ثم قالت عزيزة مستطردة حديثها:

يا أحمد لقد كانت هذه المزرعة خاليةً من أي شيء، فالذي غرسها بيده وعمل بها وسهر فيها في الرمضاء والهجير والصقيع والبرد القارص تحت الأمطار هو أبوك، فلقد طالبهم بزيادة في راتبه، فقد كان يأخذ راتباً لا يكفى لعلاجك ومتطلباتنا فلم يوافقوا له بذلك ولا بالسفر فقطع فرعاً من الشجر ولبسَ لبس السفر، فبعث "أبو عجيلة" ابنه وكان هذا الولد يعمل ضابطاً في الجنايات، فقال لأبيك:

إن أبى يريدك أن تذهب إليه، فأخذ أبوك يسب ويلعن للمزارع وأصحابها وقال لعزيزة:

إن أرغموني على العمل والله لأقاتلهم، فيا أحمد إن أباك كان لا يهاب أيُّ أحد وكان يتمتع بالإقدام والشجاعة، فلقد ضرب أولاد عمه الثلاثة ووضعهم فوق بعضهم وأشبعهم ضرباً، فلقد كنت أسمع وقع قدميه حين يأتي، فقد كان يَدكُّ الارض دكاً، فلما رآه "أبو عجيلة" وقد احمرت عيناه وانتفخت أوداجه فقال له:

ماذا تريد يا معوض؟

والله إن لم ترجع إلى صوابك لنأتين لك بالشرطة،فأخذ معوض يسب ويلعن في الشرطة وفى كل شيء فأخذوا جميعاً يهدئون من روعته ونفذوا له ما يريد من زيادة في المال، ألا تذكر يا

أحمد عندما كنت في صغرك وكنت أسهر الليل كله من أجلك وأصنع لك "الكمادات" طوال الليل حتى تشفى، فلقد قضينا في ليبيا ثلاثة أعوام عصيبة، فلقد كان أبوك عنده من الصبر والجلد ما يجعله يتحمل الصعاب، ثم أخذت تقص أيضاً قصة الرجل "التونسي" الذي كان يمشي في آخر المزرعة فلمحه "أبو عجيلة"، فقال لأبيه:

أحضر لي هذا الرجل فأسرع إليه أبوك وانهال عليه ضرباً وأتى به إلى "أبو عجيلة"، فضربه أيضاً، وقال له:

ضعه تحت السيارة حتى اقتله، وهذاً لأنهم لا يحبون أهل تونس، أما أحمَّد وعليٌّ فكان لا يفارقان أمهما أبداً حتى وهى تملأ الآنية من ماء "الصنبور" الذى يجتمع عليه عشرات النساء من الجًيران في القرية، فيذهبان معها إلى السوق وفى كل مكان لا يفارقنها أبداً، وكانت عزيزة تقص عليهم شجاعة أبيهم ومروءته وشهامته وتحكي لهما عن ولادة عليّ في المستشفى الليبي وتحكي عن نظافة المستشفى وحسن معاملة من فيها من الأطباء والممرضات، وقد كانت تقص عليهما القصص والحكايات ويجيء فوزي عمهما الذى يأتي كل إسبوع

عندهم في المنزل فيعطي لأحمد وعليّ كلاً منهما بعض القروش فيفرحان لذلك وكان لذلك الأثر البالغ في قلوبهما فكان كلما جاء فرحا به فرحاً كبيراً بقدومه، فكان فوزي يذهب إلى الحقل ليرعى الزرع ويجلس ليلاً عندما يأتي مع أوَّلاد عمه وخاله فيسامرهم إلى منتصف الليل، فيجلسون في الدوار الكبير حيث أن منازلهم تقع في هذا الدوّار، فقد كان هذا الدوّار لرجل إقطاعي فأخذوا منه هذه الأرض عنوة وشيّدوا عليه هذه المنازل، فيجلس مع عبد العال ومبروكة وتوفيق وبدوي ثم ينام أمام المنزل على "المصطبة" ويبقي أحمد وعليّ لا يفارقان عمهما

ويمر الجدَّ "صديق" الذى يذهب الى مكتب البريد يومياً، فيأتي بالرسائل إلى الجيران فيعطي الرسالة لعزيزة وتأخذها ثم تنادي على رشادً ابن سيد فيقرأ لها الرسالة وفيها:

"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ثم أما بعد:

فأهدي سلامي الى أم أحمد الغالية وإلى الأهل والأحباب وسلامي إلى أخي فوزي ولقد بعثت إليكِ بعض المال يا أم أحمد والسلام ختام)،

وهكذا كانت عزيزة لا تسمع أو تعرف أيّ شيء عن معوض إلا ما في هذه الرسالة وبعد كل

أسبوع أو عشرة أيام يبعث لها بمثل هذه الرسالة، وتمضي الأيام ويكبر أحمد ويذهب إلى كل "الكتاب"، فيحفظ ثلاثة أجزاء في وقت قليل، وبعد مرور ثلاثة أعوام من السفر يأتي معوض من السفر ويكتمل دفءُ الأسرة فيجلس معوض مع أولاده أحمد وعلي ويأتي إلى الحياة أخيهم محمود الذي جاء بمجيء أبيه فقد كان يأتي كل عام ويذهب ويحكي الأب إلى أولاده وزوجته ما حدث معه في السفر وأنه حج وأدى فريضة الحج ويروي لهم تفاصيل الحج وما فعله من مناسك وصلاة، ثم يكمل حكاياته عن كل شيء حدث معه وخاصة هذا المهندس

الذى أراد أن يأكل حقه ولا يعطيه ماله فأمسك برقبته وكاد أن يخنقه، ومرة يحكي عن أخيه عبد المنعم الذى كان يعمل في مصنع السكر وكان يقود دراجته فدهسته سيارة في الطريق وأنه كان نعم الأخ ونعم الرفيق ويحكى عن شجاعته وقوته وجرأته وأنه كان لا يهاب الموت فترك من الأولاد ثلاثة هم (أحمد؛ ومحمود؛ وصفية) وكان عبد المنعم يقطن بجوار أخيه فوزي في نفس الشارع وكان لفوزي ثلاثة أولاد أيضاً هم (هدى؛وعبد المنعم؛ وأماني)، فصحب معوض ابنه أحمد إلى القاهرة حيث المنازل المضاءة والجدران المنقوشة والأنوار التي تملئ

الشوارع والزحمة والسيارات الكثيرة "والترام" الذي يشبه القطار مع صغره وبطئ حركته فينزل أحمد مع بنت عمه هدى في الصباح ليشتروا من المطعم المتواجد في المساكن المجاورة لهم الفلافل والفول والخبز فدخلت هدى إلى المطعم ومعها أحمد، فخرج أحمد إلى الخارج ثم دخل فخرجت هي فأخذوا يبحثون عن بعضهماِ، فهي تبحث بالخارج وهو يبحث في الداخل وتمضي هي إلى المنزل وهى تظن أنه سبقها إلى المنزل فيبحث عنها أحمد هنا وهناك وهو يبكي وظل يسير ودمعته لا تجف من عينيه فهو ما زال في صغره لم يبلغ السادسة

من عمره فالقاهرة في نظره كأنها كوكب مترامي الأطراف لا يعرف فيه أيُّ شيء ولكن لا يزيده هذا إلا بالبكاء والخوف فما زال يبكى ويسير حتى وجد نفسه على "الكورنيش" فرآه أحد الناس من الذين يركبون عربة بحمارين "كاروا" ومعه امرأة تلبس من الثياب أسوده وتلبس كما يلبس معظم نسائنا في شوارعنا وحوارينا بعداً عن دنيا الراقصات وبنات الليل، فنسائنا لسنَّ كنساء الملاهي الليلية ولا ساكني القصور، فنسائنا لا يعرفن اللباس العاري ولا القصير ولا ما يظهر الأثداء والأرداف أو غير ذلك من مفاتيهن، فما يظهر لنا على شاشات التلفاز من

ممثليين لا يعبرون عن واقعنا ولا عفاف نسائنا، فهؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم ومن يدفعون لهم كي ينشروا الرذيلة والفسق في المجتمع العربي والإسلامي خاصة.

نادت على أحمد هذه المرأة وأخذته على العربة والرجل الذي يقود العربة يسب أحمد بأمه وأبيه وأحمد يبكي وما زال كذلك حتى أخذته إلى بيتها فقالت له ما اسمك؟

فقال لها وهو يبكي:

اسمي أحمد، فقالت له:

أين منزلك؟

أين أهلك؟

أين كنت؟

فلا يزيده ذلك إلا بكاءً حتى وصل إلى منزلها، فهدأته وأجلسته وأخذت تقول له:

سوف أوصلك إلى أهلك فلا تخف، فهدأَ بعض الشيء ثم أتت بحبات "البطاطس" وأخذت تقشرها ثم وضعت الزيت على النار وصنعت لهما بعض "البطاطس" المقليّة وهى تطمأنه حتى يأكل وأخذت تكلمه وتحنو عليه، فتَذَكرَ أحمد أمه عندما كانت تأتي له بالبطاطس فأخذ يبكي وهى تهدئه، فأم عبده هذه حنونة وعطوفة وطيبة القلب ويحبها من في الشارع كلهم فهي لم يكن لها أيّ ولد سوى عبده الذي مات مع أبيه

في حادثة مأسوية في صغره، فها هي "أم عبده" تضع له الطعام وبدئا في تناول الفطار وهى تنظر إلى وجهه وقد شحب وتغير فتقول له:

هيا قص عليَّ كيف ضللت الطريق؟

ومع من كنت تسير؟

فحكى لها ما حدث له وهو يبكى فوضعته على فخذيها ووضعت رأسه على كتفيها فهو يذكرها بابنها "عبده" وأخذت تقص عليه قصة ابنها وزوجها اللذين فارقا الحياة عندما كانا في طريقهما إلى البيت وانهمرت دموعها من عينيّها وتذكرت ابنها "عبده" وزوجها "حسنين" وأخذت تحكى لأحمد قصتهم وعندئذٍ تذكر أحمد أمه

وأبيه وإخوته فسالت عينيه وذرف الدمع مداراً ولكن القصة شدته عندما قصت له أم "عبده" كيف تزوجت من "حسنين" وعن حملها في "عبده" وولادته وكيف عاشوا معاً وكيف مات "عبده" "وحسنين"، ثم قالت في حزن أنها لم تفكر في أيّ رجل غيره ولم تنس أبداً ابنها "عبده" حتى الآن، وأحمد ينصت لها ذلك كله وينظر إليها وكأنها أمه التي كان يسمع منها الَحكايات، وذهبت "أم عبده" إلى أقرب قسم وأعلمتهم بتواجده معها وانصرفت إلى المنزل وهى تصبره وتقول له:

سيأتي أيّ أحد من أقاربك ويأخذك بعد قليل يا أحمد، ولكن هذا التصرف الذي فعلته أم "عبده" لم يخطر على بال أهله فهم لم يذهبوا إلى أيّ قسم من أقسام البوليس ولكن أم "عبده" كانت تنزل به إلى الشارع فتجلس معها أم "عطوه" وأم "سيد" وأم "خالد"، فيسألونه عن اسمه بالكامل، فلا يعرف إلا اسمه، فتسأله أم خالد عن بلدته لأن هيئته تدل على أنه ليس من "القاهرة"، فهو يلبس الجلباب الذي يلبسه كل أطفال القرية وقتها وسمته ولهجته يدلان على أنه ليس من القاهرة فقال لهم:

بلدي هناك فسألته أم "خالد":

ما اسم البلدة أليس لها اسم؟

فأتت له أم "عطوة" بطبق من "الكشري" ليأكله فأكله، وأتى "أبو سامي" من عمله فوجد أحمد وحوله هؤلاء النسوة فسألهنَّ عن هذا الطفل وما شأنه؟

فقالوا له:

هذا الطفل قد ضلَّ الطريق فسأله عن اسمه بالكامل فلم يجب، وسأله عن بلدته فلم يجب، ولكنه بكى عندما ضغطوا عليه بالأسئلة واستمر الحال كما هو، فلم يُستدل عليه حتى الآن، أما عن بنت عمه فضربها أباها ضرباً

مبرحاً وصل إلى حد الموت وأما حال الأب والأم فحالتهما يرثى لها فترى معوض يُدخن السجائر وكأنه فقد جميع أهله ولم تصبر أمه فجاءت إلى القاهرة وهى تصرخ وتبكي وتلقي اللوم كله على عاتق أبيه وعلى بنت عمه، أما شقيقه "عليّ" فلم يكف عن البكاء طوال الوقت على أخيه، لأنهما كانا يلعبان مع بعضهما ولا يفارقان بعضهما في لعب أو حتى قضاء الحاجة فكانا يقفان لبعضهما في الظلام حتى لا يخاف أحدهما من أي شيء وكان يذهبان إلى "محل البقالة" ليلاً في الظلمة سوياً، فعلي تأثر تأثيراً بالغاً ولا سيّما وأنّ أحمد كان يلعب مع عليّ

المصارعة ويضربا بًعضهما في اللعب فيقلدا بذلك ما يشاهدونه في التلفاز الذى أتي به أبيهم من السعودية، فقد أدخل لهم في المنزل الكهرباء والمياه وبنى لهم الغرفة التي هدمت، فكان أحمد وعليّ يشاهدان المصارعة وأفلام "فريد شوقي" "وأنور وجدى"، فيتصارعان مع بعضهما وكان أحمد دائماً ما ينتصر على "عليّ" لأنه أكبر منه بعامين وكان أحمد يذهب مع "علىّ" في الظلمة فيأتيان لأبيهما بالسجائر والسكر وما يطلبه منهما، فالمكان الذي يشترون منه يبعد عن المنزل بمائة متر والطريق به من الظلمة ما يخوف الرجل الكبير فضلاً عن الصغير، فلا

تكاد ترى يديك من شدة الظلام، فتذكر "عليّ" كل ذلك فبكى بكاءً مريراً، وبعد مرور العديد من الأيام ومن البحث والتعب والبكاء والسهر، فقد بحثوا عنه في المستشفيات وأقسام "الشرطة"، ولكن مع عدم الاهتمام ممن يعملون في أقسام "الشرطة" التي سألوا فيها فلم يجدوه فقد سألوا في كل مكان تقريباً، ولكن القدر لم يشأ أن يجدوه وأما أحمد فأمضى أيامه مرة يبكى ومرة يسمعً كلام أم "عبده" فتسليه ويؤنسها ولا سيّما وأنها لوحدها فقالت له:

يا أحمد عليك أن تعتبرني مثل أمك من الآن وناديني وقل لي يا أمي، فاحتضنته أم "عبده" وقامت بما يجعله ينسى أهله، فأخذته إلى الحدائق والمتنزهات ومرة يجلسان فيأكلان "الذرة المشوية" "والبطاطا" ويشاهدان المارّة والسيارات في الشارع ثم يذهبان إلى المنزل وبين هنا وهناك وبين مشاهدة التلفاز واللعب مع بعض الأطفال في الشارع يمضى الوقت، ولكن دخوله المدرسة قد أنساه بعض الشيء أباه وأمه وإخوته ولكنه لم ينسهم إلى الأبد، فها هي قد استخرجت له أم "عبده" وثيقة ميلاد جديدة فيها اسمه واسم زوجها واسمها هي، فقد

ساعدها في ذلك أحد الموظفين في المستشفى التابعة لها فدخل أحمد المدرسة مع طلاب من الشارع الذين كان يلعب معهم فاصطحب أحمد بعض الأصحاب في المدرسة ولكنهم قلة لأنه كان لا يحب اللهو ولا الهزل، فقد كان يحب الوحدة بعض الشيء، فقد كان يجلس في "الفسحة" (البريك) يشاهد الأطفال وهم يلعبون ويضربون بعضهم وينتقل أحمد من عام دراسي إلى عام آخر وينجح في كل سنة دراسية حتى انتهى من السنة السادسة من الدراسة وحصل على مجموع كبير من الدرجات فقد حصل على ثلاثة وتسعون في المائة وذهب أحمد إلى الإعدادية

وبعد مرور عام دراسي اتجه أحمد اتجاهٌ ديني فصحب فتيً أكبر منه سناً فصلى معه في المسجد فعرفْهّ على بعض الصبيّة والفتيان الذين لهم لحىً ويرتدون من الثياب أبيضها، ففرح بهم وفرحوا به وأحبهم فكان يجلس معهم بعد صلاة المغرب والعشاء ويحفظ معهم القرآن ويتعلم معهم قراءة القرآن ومن حين لآخر كان يحضر معهم محاضرات المحاضرين من الفقهاء والعلماء وظل هكذا لفترة كبيرة من الأيام حتى السنة الثالثة الإعدادية ولكنه بدأ يهرب من المدرسة ولا يحضر لبعض المدرسين لأنه كره ضربهم وأسلوبهم القاسي في المعاملة والكلام

الرديء ومع ذلك كان أحمد هادئاً كهدوء النيل محبوباً بين أقرانه فقد كانوا ينادونه "بالشيخ" أحمد ومرت الأيام وانتهى أحمد من المرحلة الإعدادية بمجموع قدره ستون بالمائة، فلم يوفق في دخول الثانوية العامة فقد تعمد دخول المدرسة الثانوية الصناعية التابعة لوزارة الصناعة وبين ذلك كله كانت أمه الجديدة أم "عبده" تشجعه على قراءة القرآن والكتب الدينية وتحببه في ذلك وفي ملازمة الطيب من الناس والأطهار منهم وكانت تسهر على رعايته وتربيته والعطف عليه ومداواته إذا مرض ورغم ذلك كان أحمد يمتلك صورة قديمة لأبيه وأمه

لم يطلع أحداً عليها حتى أم "عبده" وحتى أثناء جهله طريق رجوعه لمنزله، لأنه لم يعرف قيمة هذه الصورة ولو اطلع عليها الناس فقد كان من الممكن أن يعرفوا مكان أهله من خلال الصورة، فهذه الصوَرة كانت عند عمه فأخذها أحمد من غير أن يستأذنهم، ولم يعثر عليها أيُّ أحد وكان يصر أن يخفيها عن أيّ أحد حتى أم "عبده" وقد كتب عليها وهو في الإعدادية "أحبك يا أبي ويا أمي" فينظر إليها ويبكي بالدقائق المتواصلة ويتذكر أحمد في ألمٍ وحزن أبويه وأخويه ويتمنى رؤيتهم، وتمر السنة الأولى في مدرسته الثانوية، فقد صار مصلياً قارئاً للقرآن ومن الذين التزموا

بتعاليم الدين، وبعد أيام مرضت أم "عبده" أمه الثانية وكانت تعمل في إحدى" المستشفيات" الحكومية ولكنها تعمل دون تثبيت في العمل بأجر رمزي، فنامت على فراش المرض وكان لزاماً على أحمد أن يعمل بعد الدراسة لكى يأتي له ولأمه بالطعام والعلاج فكان يذهب بعد دراسته ليلاً إلى "مترو الأنفاق" ليعمل ويذهب في الصباح إلى المدرسة وبين ذلك يجلس مع أمه فتحكي له بعض الحكايات وكيف أحبت أبو "عبده" وعندما كانت طفلة وفتاة وكيف كان إعجاب الناس بها وكثرة خطابها فهذه عادة النساء يُشعرن أنفسهن بأنهن جميلات

حسناوات، فالنساء يتميزنَّ بقوة الذاكرة ووصفهن لحياتهن وذكر ذكرياتهنَّ، ترك أحمد أمه وخرج إلى الشارع حيث بعض الذين يجالسهم مثل أحمد "الحلاق" "وعماد" "وسمير" الذى يعده أحمد من أعز أصحابه "فسمير" وقف معه عندما بحث عن عمل فأوجد له العمل، وهو من الذين يبوح لهم بأسراره وما يحبه وما يكرهه ولا سيما وأن "سمير" قد ترك أبويّه لاختلافه مع أبيه بسبب العمل وفرض رأيه عليه فالأب يعامل ابنه في سن المراهقة ولا يعرف أنه في هذا العمر يُكوُّنّ شخصيته وفي هذه الظروف الصعبة يستسلم

"أحمد" فيدخن "السجائر" فقد علمه "أحمد الحلاق" التدخين واستمع منهم ما يفعلونه من مصحابة الفتيات وممارسة العادات القذرة فترك أحمد الصلاة وبدأ يدخن ويتدهور حاله وذلك لعدم كفايته من النوم فكان ينام في المدرسة فيغيب من الدراسة وظَّلَّ هكذا يذهب إلى المدرسة ثم ينام عدة ساعات ثم يذهب إلى العمل حتى تلعثم لسانه وبدأ يفقد نفسه وأخذ أحمد يتنقل من عمل إلى عمل ومن سوء إلى أسوأ وفي نهاية السنة الدراسية الأولى بعد نجاحه خيمت عليه سحابة من الحزن والضيق

فقد جلس مع أمه وهى تحتضر ودمعتها تغرق عينيها فقالت له:

يا أحمد بصوت مكتوم خافت اقترب مني واسمعني يا بنى، أنت تعرف أنى لست أمك ولسنا أهلك ولا هذه بلدك ولكن عما قريب ستجد أهلك وتجد إخوتك ثم قالت له بعض الكلمات التي لم ينساها أبداً طوال أيامه، فقد قالت له:

يا بني لا تثق بأحد أبداً وإياك وصحبة السوء، ومجالسة الأشرار من الناس، ثم فارقت الحياة ويدها في يده ثم دمعت عيناه وأخذ يبكي بكاءً مريراً، فلقد فارقت الحياة آخر أحبائه وكل

الذي يملكه في هذه الدنيا ثم مرت الأيام تباعاً بعدما دُفن كل الماضي مع أمه أم "عبده" فمضى وحده في دروب الحياة بلا أنيس أو حبيب أو رفيق أو أهل أو إخوة أو أب ليجد النصيحة عنده أو الحكمة التي يسمعها من الأب أو أم تحنو عليه.

الفصل الثاني

لقد عمل أحمد مع رجل كان يعرف أم "عبده" فهذا الرجل كان يصنع الحلوى في بيته ويغلفها ثم يأخذها أحمد وابن هذا الرجل الذى يدعى عصام ومعهم فتىً يدعى "سيد" فكان يأتي أحمد بعد الدراسة وينزل إلى أنحاء القاهرة ليبيع هذه الحلويات، فقد كان يذهب مرة إلى "شادر السمك" وأخرى إلى "المطرية" ومرة إلى "حلوان" وغيرها من الأماكن الكثيرة المتلاحمة فتعرف على كل القاهرة وخاصة الأماكن الشعبية مثل "إسطبل عنتر" "وباب الشعرية" وغيرها من

الأماكن وكان يلتفت في كل مكان يذهب إليه يمنةً ويسرةً لعله أن يجد عمه أو أولاد عمه بين هذه المنازل التي تشبه بعضها وهذه الأماكن التي لا تفرق بينها لبساطة ساكنيها وما هم فيه من الدَعة والسلام والحب فكان أحمد يربح من هذا العمل ربحاً لا بأس به فاشترك أحمد في نادٍ عام يلعب فيه لعبة "الكنغو فو" وبدأت الدنيا تبتسم له بعض الشيء فكانت حياته تسير حياة عادية حتى إذا كان في يوم من الأيام وقد أجهده اللعب في التمرين فاللعب لا يتماشى مع التدخين فطرده المدرب خارج "صالة التمرين" فجلس أحمد وقد غلب عليه الحنق والغضب

من مدربه وبينما هو جالس على كرسي مترامي على مقربة من المدرب والمتدربين فجاءت فتاة تلبس لباس التدريب فجلست بجواره وسألته وهى باسمة الثغر، ويفعمها التفاؤل فقالت له:

لماذا تجلس هنا؟

ولماذا أتيت إلى هنا؟

فقال لها أحمد وهو يتعجب من سؤالها وقد خيّم عليه الخجل فإنه لم يكلم فتاة من قبل حتى لم تكن له أيّ أخت أو عمة، فقال لها:

وماذا أتى بك أيضا؟

فقالت وهى تنظر إليه بعينيها الواسعتين وملامحها الجذابة التي أبهرت ناظري أحمد فكم

حباها الله من شفتين كأجمل ما تكون الشفاه ووجنتين بارزتين ومقلتين جميلتين وقوام ما أبهاه وما أنضره فقالت:

إني آتى إلى هنا لأتمرن على رفع الأثقال فضحك أحمد حتى بدت أسنانه البيضاء المتراصّة وكأنها اللؤلؤ المكنون مما لفت نظرها فقد لاحظت ضحكته الصافية البريئة، فقال لها:

أتمزحين؟

فقالت له:

لا أمزح ولكن قل لي ما اسمك؟

فقال لها وقد تعجب من جرأتها وحسن منطقها:

إسمي أحمد وأنت؟

فقالت إسمي شيماء وأنت يا أحمد في أي مرحلة تعليمة الأن؟

فقال لها في آخر سنة من الثانوية الصناعية، وأنت يا شيماء؟

فقالت في السنة الثانية من التعليم التجاري، ولكن قل لي لماذا تأتي إلي هنا وتلعب هذه اللعبة بالذات؟

فقال لها:

أحبها كي أدافع بها عن نفسي، وظلا هكذا يتحدثان مع بعضهما ويتجاذبان أطراف الحديث قرابة الساعة الحادية عشر والنصف

ثم همت بالانصراف فنظرت إلى أحمد وقالت له:

هيا لتذهب معي، فقام أحمد معها حتى خرجا من النادي ثم أمسكا بيديَّ بعضهما والفرحة تملأهما وغمر أحمد إحساس بالسكون والحب وقشعريرة بداخله حتى وصلا لأقرب مكان لهما فسألها متى نتقابل؟

فقالت له غداً إن شاء الله ثم ودعها أحمد وانصرفا وذهب أحمد إلى مسكنه فأخذ يفكر بها إلى بعد منتصف الليل وهو يشاهد من الشرفة المارة في الشارع فأحمد يقطن في الطابق الثالث في هذا البيت، أتى الغد وفى نفس الموعد

المحدد بينهما ليجدها منتظرة في النادي فجلسا وتحدثا عن بعض الأشياء فسألها أحمد عن أبويها وعن بيتها فقالت إن أبي قد توفى وزوج أمي سافر الخليج وأمي صاحبة "مستشفى" خاصة وتعمل ليلاً في أغلب الأحيان ولا تعود إلا في الصباح وليس لي إخوة، أما منزلنا فهي "فيلا" تتكون من طابقين فأبات معظم الليل ساهرة وحدي أمام "الكمبيوتر"، فأتصفح ما على النت من أخبار وأشاهد بعض الأفلام، وما زالا هكذا يتسامران حتى جاءت الساعة العاشرة مساء، فقالت شيماء هيا لنكمل السهرة في

المنزل عندنا فقال لها أحمد: كيف نسهر سوياً عندك ليلاً فضحكت من كلامه وقالت:

ولما لا؟

فحدث أحمد نفسه قائلاً:

هذا لا يتماشى مع ما نشأنا عليه ولا ما ألفناه في مجتمعنا، ولكنه قال لنفسه أيضاً:

لا عليك، فسندخل ونقضي سهرتنا معاً،

ثم دخلا معاً إلى المنزل وهو على خجل واستحياء ولكن سرعان ما تغير الحال بعد دخوله حيث وجد الجدران وقد مُلأت صورا عارية وتماثيل مخجلة تخدش الحياء في المكان كله فأخذ أحمد ينظر إلى هذه التمَاثيل وتلك الصور وقد

أدهشه المنظر وفجأة قطعت عليه دهشته وخرجت شيماء شبه عارية فقالت له:

هيا نسبح لبعض الوقت في المياه، فلما نزل فزع من المياه لأنه لا يحسن السباحة فقد غرق عندما كان صغيراً في النيل فلقد ذهب يوماً ما في الصباح مع صديقه سمير إلى النيل، فأحب سمير أن يعلمه السباحة ففزع أحمد من المياه المتلاطمة فكاد أن يغرق لولا أن أمسك به سمير محاولاً إخراجه فركب أحمد على عاتقه ممسكاً رقبته ورأسه ونزل شخص آخر لينقذه فركب على عاتقه أيضاً، وظل هكذا قرابةً النصف ساعة حتى دخل الماء في أذنيه وأحس بأنه ميِّتٌ

لا محالة فترك نفسه فأخرجوه خارج المياه وأخذوا يضغطون على بطنه لأنه شرب مياهً كثيرة فمن يومها يخشى المياه كلها سواء مياه البحر أو النيل ولم يتعلم السباحة، فلما رأته شيماء هكذا أخذت تعلمه السباحة ويمرحا في الماء حتى انتصف الليل ثم خرجا واضطجعا على الأرض وأخذ أحمد ينظر في عينيها الساحرتين وتنظر في عينيه، وبعد برهة من الوقت قامت شيماء وقالت لأحمد تعالي يا أحمد تعالى ندخل معاً حتى تشاهد بيتنا من الداخل فانطلقا معاً إلى الداخل فأطلعته على مكتبة أبيها وشاهد صورته وصورة أمها ثم ذهبا إلى باقي

الغرف حتى وصلا إلى غرفة المعيشة فجلسا معاً حتى أحضرت له بعض الطعام والشراب فأكلا حتى شبعا ثم أحضرت له زجاجةً من خمر فرفضها وقال إني لا أحب أن أغيب عن الوعي أبداً، فشربت هي حتى الثمالة أما أحمد فأخذ يتملقها وهى تشرب كالظمآن ثم اقتربتً منه وهى تضحك كالمجنونة وتتكلم كالسكران، فأقام معها علاقة كاملة وتكررت حتى مطلع الفجر، ثم انصرف أحمد في الصباح مسرعاً نحو الباب قبل أن تأتى أمها التي تعمل للصباح وترك شيماء على سريرها وهي شبه عارية وثملة وغارقة في نومها وسباتها العميق وفتح الباب

وانصرف إلى منزله وهو في سعادة بالغة وخيّم عليه النوم إلى بعد الظهيرة ثم استيقظ ليمارس حياته إلى أن يأتي الليل ليقضى الساعات الطوال مع شيماء بدئاً من النادي إلى بزوغ الفجر في بيتها وتمضي الأيام والليالي في علاقة تعدت الثلاثةً أشهر وهما يتقابلان في بيتها ويقيمان علاقة كاملة مع بعضهما بالساعات مما جعل أحمد يحبها ولا يكاد يتركها أبداً، فقد قضا كلاً منهما مع بعضهما ليالي وأياماً لا تنسى، فقد خرجا معاً إلى أماكن كثيرة، فقد استخرج أول بطاقة شخصية له في حياته وجمعتهما صوراً كثيرة فقد كان أحمد يحتفظ بصورتها في

حافظته بل يحتفظ بها في قلبه وعقله وخياله بل صورتها تظله كله ففي آخر لقاء جمعهما قالت له:

لن تراني بعد الآن، فلم يعبأ بكلامها لما قالت له سنسافر إلى الخليج وظنها تكذب عليه فتركها ومضى وفى اليوم الثاني جاء إلى النادي فلم يجدها وذهب إلي بيتها فلم يجدها بل وجد منزلها قد أغلق وتركت له رسالة مع بائع السجائر الذي بجوارها، قالت له فيها:

لقد غادرت مصر، ولن أعود إلا بعد حين، "أحبك يا أحمد" وقرأ الرسالة وأخذ يتصل بها على هاتفها المحمول فلا ترد عليه، وبحث عنها

على الفيس وكل موقع فلم يجدها وذهب والحزن يملأ قلبه ولا يدرى أين يذهب أو ماذا يفعل وأخذ يبحث عنها كل يوم ويأتي إلى بيتها وإلى النادي كأنه لم يقرأ رسالتها وظل حاله هكذا حتى فقد الأمل في رجوعها فسافر إلى السويس وقد انتهى من دراسته فعمل في بعض المصانع فقد كان يعمل في مهنة "اللحام" فعمل أحمد بجسده ولكن قلبه يتعلق بشيماء ويفكر بها ليل نهار حتى وهو يعمل تأتى صورتها في لحامه وبين شرر النار يذهب إلى المكان الذى يسكن فيه فيجلس وحده شريداً لا يكلم أحداً وإذا تكلم عنها تكلم بحزن وأسىً، فيجلس معه زميله

"طارق وسعيدً وفتحي" ويسألونه لماذا أنت متجهم هكذا؟

فيحاولون إخراجه مما هو فيه ولكنه لم يتغير ولم يحس بسعادة بدونها، فأمسك قلمه وكتب قصة تشبه قصته، فكلما ذهب من عمله إلى سكنه هام على وجهه يكتب بدمع عينيه ويذكرها في كل وقته، ويصاحب أحمد صديقاً له اسمه "عادل"، فيجلس معه في العمل ويذهب إليه أحمد في شقته التي يقطن فيها مع أمه وإخوته الصغار فيقضي أحمد معه بعض الوقت ويعرض عادل على أحمد أن يسهرا معاً سهرة حمراء في سكنه ليلة الجمعة فوافق

أحمد على ذلك وفى عصر يوم الخميس ذهب أحمد ليأتي ببعض الأطعمة فسُرقت منه حافظته وأمواله فتضايق لذلك ولكنه لم تشغله الحافظة وما فيها إلا صورة شيماء وصورة أبيه وأمه التي ضاعت مع الحافظة، وأتى الليل ثم أذن لصلاة "العشاء"، وأتى عادل إلى أحمد وقد فتح أحمد باب شقته ووقف أحمد مع رجل يبيع في محلٍ للبقالة ليس بالكبير عند مدخل العمارة وجاء عادل ومعه فتاة فدخلا الشقة وذهب أحمد إلى باب الشقة ففتحها وقال لعادل:

إني ذاهب إلى صلاة العشاء، ثم ذهب أحمد لصلاة العشاء ولما انتهى من الصلاة لم تكن له أيّ رغبة في هذه الفتاه ولكنه حاول أن ينسى بها شيماء فدخل شقته، فوجد عادل يصنع لنفسه بعض القهوة، فقال عادل لأحمد:

هيا يا أحمد لقد انتهيت هيا أدخل إليها فهي في انتظارك، فدخل أحمد إليها فإذا هي امرأة ليست شقراء ولا سمراء وقصيرة الجسم وليست بالجسد الجذاب ولا تشبه شيماء لا من قريب ولا من بعيد فضاجعها أحمد ولكنه لم يتلذذ من هذه المرأة ولا من غيرها، فقد أتى له عادل بامرأة كهذه وأخرى وغيرها من النساء

ولكنه لم ينساها أبداً فكان يدعوا الله في رمضان في شهر الصيام أن يبتعد عنها هو ولكن لا تبتعد عنه هي فهو لا يعرف لهذا الشهر أي طعم في قلبه وكان ينزل إلى القاهرة يبحث عنها في كل مكان ويذهب إلى منزلها وإلى النادي وإلى مدرستها فلا يجدها، ومضت الشهور وهو على حاله هذه وانتهى أحمد من عمله في هذا المصنع وذهب للعمل في القاهرة في مصنع للأسمنت وبعد أيام من العمل ذهب ليلاً إلى النادي لعله أن يجدها وبينما هو يقترب إذا بشيماء تمشى أمامه على بعد ولكنه يعرفها من مشيتها ومن ظهرها فنظرت خلفها فلمحت خلفها أحمد

وأبصرها على الفور فأسرعا نحو بعضهما وتعانقا ثم ذهبا إلى منزل أحمد وتلاقت القلوب وشبعت أعينهما من بعض وظلا إلى الصباح في علاقة ومعاشرة كأنهما ليسا في علاقة محرمة، فقضى أحمد معها الشهور الكثيرة من المتعة والسعادة ولم يكن بينهما أي حوار سوى كلمة "أحبك"، "وأنا كذلك" وأن يمدحها وتمدحه وأن يتحدثا عما فعلاه في هذه الشهور الماضية الطويلة ولكنها تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان أحمد يتردد على بيتها وهى كذلك، وفي ليلة ذهب أحمد لما وجدها تأخرت عليه فذهب إليها كعادته لما تأخرت عليه، فذهب

إليها مسرعاً فلما ذهب إليها وجد الباب مفتوحاً فنادى عليها وقرع جرس الباب فلم يرد عليه أي أحد، فدخل المنزل وهو في ريبة وقلق فوجد فوضى في المكان، فدخل إلى المنزل نحو الغرف، فإذا بشيماء ملقاه على الأرض وفى صدرها السكين بعدما فوجئ بما شاهد وضمها إلى صدره والدماء تسيل من صدرها وأخذ يبكى بكاءً شديداً، وبينما هو كذلك دخلت المنزل صديقتها فصرخت وصاحت ثم اجتمع الناس وجاءت الشرطة وقبضت على أحمد واتهمته بقتل "شيماء جمعه عبدربه" وقرر المعمل الجنائي بوجود بصماته على السكين ووجود

علاقة بينهما كما شهد الجيران والبائع الذى في الجوار بتردد أحمد على المنزل وخاصة في الليل وشهدت صديقتها بوجوده ساعة حدوث الجريمة ولا سّيما وأن الجريمة وقعت الساعة الحادية عشر ونصف وقت وجود أحمد معها ومع وجود هذه القرائن يصبح أحمد هو القاتل أمام النيابة، فدخل أحمد السجن بدون أي جريمة فكيف يقتل أحمد حبيبته وقرة عيّنهِ وفلذة كبده فانهار أحمد لمقتلها ولحبسه دون أن يعرف من قتلها ودخل الحبس وتولى التحقيق معه "الضابط أحمد عبدالمنعم" فهو نعم الضابط بين أقرانه من الضباط ولم يَشدّ

هذا الاسم ولا الشخص انتباه أحمد ولم يرى هذا الضابط أي شيء في أحمد سوى إحساسه بأنه يعرفه وبأنه قد ظلم فأحمد ابن عم الضابط أحمد عبدالمنعم فبدأ هذا الضابط يتعاطف معه لما قص عليه قصته فقال الضابط لأحمد سوف أجد لك ما يبرئ ساحتك، وسوف أعثر لك على حافظتك التي سرقت منك وفيها صورة أبيك وأمك فاللص يأخذ المال أما الورق فلا يأخذه ثم ترك أحمد لوحده بين ألمه وحزنه على فراق شيماء وعلى نفسه فقد تأثر أحمد لما سجنوه واتهموه بقتل عشيقته وحبيبته، وفكر أحمد فيمن يكون

قاتلها فلا يصل إلى أيّ شيء ولما تحدث مع زملائه في السجن لم يتوصلوا إلى أيّ شيء ولكن هذا الضابط كان لماحاً ذكياً، فقد قام بتحرياته نحو منزلها وفتش المنزل بعد رجوع زوج أمها خاصة بعد الجريمة، فحلق الضابط أحمد حول كل من يشتبه بهم مروراً بزوج أمها وبعض الناس في الشارع مثل البائع الذي لم يتعدى الثلاثين عاماً من عمره وخاصة أنه لم يجد بصمات يدها على ملابس أحمد أو جلده أو آثار أي مقاومة منها وخاصة وأن الطعن بالسكين جاء في الصدر أي وجها لوجه وأخذ الضابط أحمد يسأل زوج أمها عن بعض

الخدوش التي في وجهه فأجاب بمبررات مقنعة وأنه لم يأتي مصر إلا بعد الحادثة بأسبوع أما بائع السجائر فقد ظهرت عليه بعض التغيرات من تغيير مادي وإغلاق محله بالأيام أما صديقتها فكانا على اختلاف مع بعضهما بسبب أحمد، فصديقتها هذه التي تدعى "حنان" تعرف علاقتهما ببعض وكانت دائماً ما تنصحها بالابتعاد عنه وقد دار بينهما مشادة كلامية قبل الحادثة شهد بها بعض الناس في النادي فحنان كانت تحب أحمد ولكن أحمد لا يحبها ولا يهتم بها وربما نال منها قبلة أو ما شابه ذلك، وما زال الضابط أحمد يشك في هؤلاء الثلاثة البائع

وحنان وزوج أمها وخاصة وأن أمها تمتلك بعض الأشياء مثل المستشفى وغيرها من العقارات ولا يجد الضابط أحمد أيّ دافع لأحمد من قتل شيماء بعدما شاهد بعض الصور لهما وشهادة الناس بعلاقتهما، واقتربت محاكمة أحمد ودخل أحمد قفص الاتهام وبدأت محاكمته وترافع وكيل النيابة وغلظ في الكلام، فوجه إلى أحمد تهمة القتل مع سبق الإصرار والترصد المقرون بالقتل العمد وتشدق بكلمات كلها قسوة، فقال:

إن هذا المجرم الماثل أمامكم لهو ذئب لئيم غدر بمن أحببته فخان حبها له فرتب لقتلها مع سبق

الإصرار والترصد ليخفي جريمته النكراء فقد هتك عرضها ومارس معها الرذيلة، فهي فتاة قاصرة تركت له قلبها وجسدها فهتك عرضها ومزق جسدها وتركها بعد ما طعنها غارقة في دمائها وإني أطالب عدالة المحكمة بأقصى العقوبة فأطالب بالإعدام شنقاً لهذا المجرم الخائن وأنهى مدعي النيابة مرافعته وبدأ المحامي الذي أتى به الضابط أحمد ليدافع عن أحمد فأخذ يترافع قائلاً:

سيادة الرئيس السادة المستشارين إن موكلي أحب المجني عليها من قلبه ولم يكن هو باللص الذي جاء بدافع السرقة أو له أيّ مصلحة من

قتلها بل إني أتساءل لماذا يقتل أحمد المجني عليها وهما يحبان بعضهما وكيف يقتلها ثم يستمر في أخذها في أحضانه وبين ذراعيه بل لماذا لم يتركها ويفر هارباً بعدما قتلها وقد ثبت عدم أيّ آثار على جسده أو وجهه بل إنيّ أتساءل ما هي الدوافع التي جعلت أحمد يقدم على هذه الجريمة وهذه الفعلة النكراء إني يا سيادة الرئيس لا أجد مبرراً أو دافعاً ليقتل أحمد المجني عليها وإني أطالب عدالة المحكمة ببراءة موكلي مما نسب إليه، وإني أكتفي بذلك ولسيادتكم الحكم، فهمس القضاة إلى بعضهم ثم قال القاضي:

تؤجل القضية لجلسة الخامس والعشرون من شهر مارس لسنة الفين وإحدى عشر رفعت الجلسة، وبعدها دخل أحمد إلى محبسه بعدما ودعه الضابط أحمد ثم رحل إلى سجن "أبى زعبل" وأخذ الضابط أحمد يبحث عن دليل لبراءة أحمد وتعقب الضابط أحمد هذا البائع فوجده يسهر في إحدى الخمّارات وينفق ببزخ مما يلفت النظر فقد راقبه الضابط أحمد عن كثب، فقد تأكد أن خالد البائع له صلة بما حدث فبعث من يراقبه ثم بدأ بمنزل المجني عليها حتى وجد رسالة في مكتبها ففتح الرسالة فوجد رسالة تقول:

يا شيماء إذا لم تأتين بالمال غداً فسوف أفضحك وفي المظروف بعض الصور العارية قد التقطها لها من أعلى الجدار وأخذ الضابط ينظر في الصور ويفتح مذكراتها فإذا بها كل الذى دار بينها وبين أحمد من حب وعلاقة وطيدة بينهما فأخذ هذه الأشياء وانصرف وبدأ الضابط أحمد يستدعي خالد البائع استدعاء رسمياً وبدأ يحقق معه فأوقفه ثم أخذ يسأله ما هي علاقتك بالمجني عليها؟

فقال خالد:

ليس لي بها أي علاقة من قريب أو بعيد، فقال له الضابط:

وما هذه الرسالة أليست بخط يدك وهذه الصور التي التقطها بيدك بهذا المحمول وما زلت تحتفظ بها على هاتفك المحمول؟

يا خالد أنت متهم بقتل "شيماء جمعه عبد ربه" مع سبق الإصرار والترصد وسنرسل هذا الخط إلى "الخبير" كي نري هل هذا الخط الموجود في الرسالة خطك أم لا يتطابق مع خطك، فسرعان ما بكى خالد وصرخ وقال:

أنا لم أقتلها ؛أنا لم أفعل أيّ شيء، فنادى "الضابط أحمد" على الحاجب:

أن تعالى خذه إلى الحجز، فأخذه الحاجب وخالد يصرخ:

أنا لم أقتلها أنا لم أفعل أيّ شيء، أما أحمد فكان يعيش في محبسه مكسور القلب حزين الفؤاد يكمل روايته التي كان يكتبها فهو يعشق الكتابة والقراءة فهو يجد سلوته في الكتابة فيضع همه في ذلك، فتعرف أحمد على أحد السجناء واسمه "حسن" في قضية الإتجار في السلاح، فقص أحمد على حسن قصته فتأثر بقصته وتقرب منه خاصة عندما رأي روايته وشاعريته وأنسه ودَعَته وما فيه من هدوء رغم ما فيه من محن، أما الضابط أحمد فحكى لأمه عن أحمد وأنه يحس نحوه بشيء لا يعرفه وأنه متأكد بأنه برئ، ثم رأت أمه صورة أحمد

وتعجبت من كثرة الشبه بينه وبين أولاد أخو زوجها معوض فقالت لأحمد ابنها:

أود أن أراه في أقرب وقت، فوعدها أحمد بذلك وانصرف إلى عمله واستدعى الضابط أحمد هذا البائع بعدما ثبت تطابق الخط الذى في الرسالة وبين خطه فاتهمه الضابط أحمد للمرة الثانية بالقتل مع سبق الإصرار والترصد ولا سيما وقد تطابقت الصور التي في الهاتف المحمول وبين ما في الصور التي في الرسالة فنفى خالد قتله لها وأقرَّ بأنه صاحب الرسالة ولكنه لم يقتلها وقد أخذ منها النقود وكفى وأنه ساعة وقوع الجريمة كان مع زوج أمها الذى كان يريد بعض الحبوب

التي تساعده في علاقته الزوجية كما يدعي ذلك، وهذا قبل وقوع الجريمة بدقائق وعندي الشهود على ذلك ولا أعرف لماذا اختفى زوج أمها بعد ما أمسكنا بأحمد في المنزل وفي يده السكين وبين أحضانه المجني عليها فتعجب الضابط أحمد لهذا الكلام وراجع محضر الشرطة فوجد أن زوج أمها قال بأنه أتى من السفر بعد وقوع الجريمة بأسبوع، فأفرج عن خالد البائع وأخذ الضابط أحمد ينقب عن زوج أمها فذهب إلى المطار ليعرف متى كانت عودته من الخارج فإذا بميعاد عودته قبل وقوع الجريمة بأسبوع مما أثار حفيظته فتعقبه فوجده منغمساً في السهر

مع النساء ومعاقرة الخمر ويبيت ليله مع راقصة اسمها "لولو"، فبدأ الضاًبط أحمد يزوره في منزله ويسأله أين كنت وقت وقوع الجريمة؟

فقال له:

أتسألني بصفة رسمية؟

فقال له الضابط أحمد:

لا ليس بصفة رسمية ولكنها ستكون كذلك لو لم تتعاون معي، فلقد ثبت في محضر الشرطة بأنك قلت أنك وصلت مصر بعد وقوع الجريمة بأيام وقد ثبت في تأشيرة السفر بأنك جئت مصر قبل وقوع الجريمة بأسبوع، فلم يستطع

أن يتكلم ولكنه كابر وقال هذا من الزور والبهتان، فقال له الضابط أحمد: إئذن لي بأن أري جواز سفرك، فتلعثم ثم قال للضابط ماذا تحاول أن تقول هيا أيها الضابط فعندي ميعاد، فنظر إليه الضابط أحمد بعدما قام وقال له: سنتقابل عما قريب، ثم انصرف ومضت الأيام وتقلبت الأمور في مصر وقام الناس بثورة في الخامس والعشرون من شهر يناير ففتحت السجون في كل أنحاء مصر وخرج أحمد ومعه زميله حسن الذى كان معه في السجن وبعد مرور دقائق وجد نفسه خارج السجن ليرى الحرية والنور الذى حرم منهما فأخذه حسن مع

أناس كانوا في انتظاره بسيارتهم فذهبوا إلى سيناء ولكن أحمد كان شغله الشاغل أن يعرف من قتل حبيبته شيماء، وليس الحرية فقط، فوصل أحمد مع حسن ورفقائهم إلى مكان في حضن الجبل يختبئون فيه فرحبوا به وأكرموه بعدما سمعوا قصته فتعلم منهم تجارة السلاح بل أخذ يصنع لهم السلاح، وصارت علاقة وطيدة بينهم مما ساهم في إقامة علاقة مع شقيقة حسن، ففي يوم جاءت أخت حسن بالطعام إليه وكانت حسنة المظهر خضراء العينين طويلة القامة عيناها تنطقان بما تخبئه نفسها فقدمت له الطعام وقالت له:

إذا أردت أيّ شيء فاطلبني فوراً ولا تتردد، فكانت تأتي لأحمد في غرفته بين الحين والآخر فتجلس معه لتسمع منه حكايته وًتحكي له هي عن حبيبها وخطيبها صالح الذى أحبها حباً جماً وقتل في أحداث الثورة الأخيرة تحت المدرعات والدبابات لتفقد أحب رجل في حياتها، فهدأ أحمد من روعها ولكن مع مرور الأيام توطدت بينهما علاقة وثيقة فقد أحبا بعضهما حباً أكبر من حبهما الأول وفى ليلة من الليالي جاءت إليه "رشوانة" وهى في زينتها، ففتح لها أحمد الباب فدخلت وأغلقت الباب، فقام أحمد من مضجعه وجلس على السرير فخلعت عباءتها

وأظهرت مفاتنها البراقة وساقيها اللتان تشبهان سيقان الشجر الملتف وشعرها الأصفر الطويل مثل حرير ينساب، فوقفت أمامه كأجمل ما يرى الرجال من جمال فأثارت غريزته وجرى لعابه وأخذها عليه وارتميا على السرير وعانقا بعضهما وأخذ يقبلها ثم قال لها:

أتحبيني كما أحبك؟

فقالت له:

نعم فأنا أحبك أكثر منك، فأقاما علاقة جسدية كاملة الغريزة، فقضيا كلاهما ليلة جميلة كأحسن ما تكون وقد كان من معه من رفقاء قد غادروا سيناء لإبرام صفقة للسلاح،

فلما انتهى أحمد من ممارسة علاقته معها ذكرتّهّ بشيماء ولكنه غضب من نفسه لأنه أحس بأنه قد خان صديقه حسن وغضب أكثر لما علم أنها ما زالت بكراً، ولكنه في قرار نفسه يحبها لأنه لا ينكر أنها أنسته شيماء بعض الشيء أما عن الضّابط أحمد، فما زال يبحث عن أحمد وعن مكانه لا لأنه مجرماً بل لأن أمره صار يهمه ولا سيّما وقد وجد حافظته وفيها أوراقه وخاصة صورة أبيه وأمه وفيها أحمد يحمله أباه علي راحة يديه فرأى الصورة وعلم من فيها فكانت المفاجئة للضابط أحمد فالذي في الصورة هو عمه وزوجة عمه وهذا هو أحمد

في صغره فانطلق الضابط أحمد لما علم ذلك إلى أمه فلما رأت الصورة عرفتهم وأكدت ظنه بأن ذلك حقيقة فانطلق الضابط أحمد من ساعته إلى بلدهم هو وأمه وإخوته ليقصوا على من في البلدة من عمهم وزوجة عمهم وأولاد عمهم ما حدث وسرعان ما وصلوا إلى هناك فاستقبلهم "معوض" أبو أحمد وزوجته وأولاد عمهم "على ومحمود"، فقص عليهم قصة أحمد وما لاقاه من تعب وعنت ثم أظهر لهم الصورة التي كانت مع أحمد منذ صغره وأنها كانت معه لما ضّلّ الطريق، فلما رأوا الصورة قالت لهم عزيزة:

نعم هذه الصورة صُورت لنا في ليبيا وهذا هو أحمد عندما كان في صغره، فأين هو الآن؟

أريد أن أراه؛ خذوني إليه، فقال معوض:

أين نجده الآن ياأحمد؟

وهل هو حيٌّ أم ميت؟

فقال الضابط أحمد:

لقد وصلت إلى القاتل الحقيقي واقتربت منه ولم يبقى لي إلا أن أجد الدليل على إدانة المجرم وتبرئة أحمد مما نُسُب إليه، ففرح على ومحمود وقالوا جميعاً:

الحمد لله لقد علمنا أنه حيٌّ ولكن ما زلنا لا نعرف مكانه، فقال لهم الضابط أحمًد:

أنه قد هرب إلى سيناء تقريباً وسأجده إن شاء الله قريباً، فقال له، عليٌّ:

أين صورته الأن وقد كبر وتغيرت ملامحه؟

فأخرج لهم الضابط أحمد هاتفه المحمول وجعلهم يشاهدون صوره التي التقطها له الضابط أحمد في كل مرة يراه فيها، فاحتفظوا بها على هواتفهم، ثم قال هذه صورهُ ولوعلم أيُّ أحد منكم أيُّ شيء عنه فليبلغني في الحال، أما أحمد فيعيش أيامه مع رشوانة وحسن، فلقد لعبت به الدنيا فمرة يضُلُ الطريق ويفقد إخوته ويحرم من أمه وأبيه ومن بلدته وبعدما يفقد ذلك كله تربيه امرأة ويقل لها يا أمي ثم

بعد ذلك يفقدها ويُحرم من أمٍ ولدته وأمٍ ربته أيّ يحرم من الحنان والعطف وبعد ذلك يحب إنسانة جميلة حسناء وجد معها الحب وكل شيء ثم تتركه وترحل هي أيضاً ولا يتركه القدر الذى يفرق بين الأم وابنها والابن وأبيه وبين المحبوب وحبيبه فالناظَّر بعين القدر يرى غير ذلك يرى في الشر الذى نراه الخير والخير الذي نراه الشر فالحق سبحانه وتعالي يقول في كتابه العزيز: " فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"، فعَذابٌ وآهات وألم وأوجاع، ألا فلا خير في هذه الحياة، فها هي الدنيا تسرق

منا كل فرحة وتأخذ منا كل غال، فمن تراه في سعادة فهو من أتعس الناس فلربما معه المال وينقصه الولد أو تجد عنده المال والولد ولكن تنقصه الصحة فترى رجلاً ذا جاهٍ وسلطان وعنده من النفوذ والسلطان ما عنده ولكنه لا يجد الحب مع أيٍّ أحد فيبحث عنه مع زوجته فلا يجده أو مع غيرها فلا يجده ويظن نفسه بماله بمقدوره شراء الحب فلا يقدر على ذلك فيموت تعيساً محروماً من لحظة حب وتري آخر يبحث عن لحظة يمارس فيها علاقة حميمية، فلا يستطع ذلك فقد حُرم من هذه اللحظة رغم ثرائه وغناه بالمال ومع قوة جسده،

فيموت كمداً بين آلامه وترى رجلاً لا يجد قوت يومه مضروباً بالأبواب ربما قطعت يده أو فَقد كبده أو عضواً من أعضاء جسده ولكن تراه معً زوجته كالثور الهائج ويأكل ويشرب ما يعجز الغنى أن يأكله كل هذه الأفكار كانت تدور في ذهن أحمد عندما أصبح على وجهه سحابة حزن، فجاءته رشوانة بالطعام وهى تنظر إليه بنظرة مكسورة فقال لها أحمد:

وماذا نفعل بعد ذلك بعد الذي فعلناه؟

ماذا تخططين للقادم؟

ألم تكوني حريصة على عرضك وشرفك؟

فقالت له وهي غاضبة:

إني أحببتك يا أحمد لم أفكر لحظة في هذا، ألم تعترف بحبك لي؟

أم إنك تغدر بي بعدما أحببتك وتركت لك نفسى تفعل بي ما تشاء؟

فقال لها أحمد:

إياك أن تلوميني وحدى على ذلك لقد خنت صديقي بعدما أحسن إلى وآواني وأكرمني بعدما أخرجني من السجن ورد إلى حريتي، هل هذا جزاءه؟

هل هذا ما يستحق؟

فقالت له رشوانة بتهكم وأين كان عقلك وقتها؟

ألم تتلذذ وتستمتع معي؟

ألم تقبلني بلهفة وشغف؟

أكنت سكراناً حينها؟

وهل كان عقلك مخموراً؟

ءأجبرتك على فعل هذا؟

أم قيدتك وقتها؟

فقَّال لها أحمد:

ماذا نقول لأخيك عًندما يأتي؟

ءأقول له أنى خنتك؟

وأنى غدرت بك ولم أحافظ على أمانتك بل هتكت عرضك وشرفك ولم أكن جديرا بصداقتك ولم أكن وافٍ لعهدك.

أنا أستحق الموت يا ليتهم حكموا عليَّ بالإعدامً أو كانوا شنقوني يا ليتني مت قبل هذا مع من ماتوا ولم أخن صديقي مهما كان، فقالت له:

ياأحمد سوف تطلب يدى من أخي حسن وسيوافق إن شاء الله، فقال أحمد في غضب:

كيف له أن يوافق، أين سنتزوج؟

أين؟

هل نتزوج في هذه الغرفة؟

هل أتزوج وأنا مطارد لا أعلم أيُّ مصير لي لا أعرف هل سأدخل السجن مرة أخرى أم سندخل السجن لعملنا في السلاح تجارة وصناعة؟

فقالت رشوانة:

لقد سئمت منك، ما عاد يجدي الحوار معك، فتركته وانصرفت باكية أما أحمد فشَّلَّ تفكيره وأخذ يمارس عمله كالعادة.

أتت جلسة أحمد في المحكمة وتابع القضية ابن عمه "الضابط أحمد" بحضور المحامي ثم طلب المحامي التأجيل لشهر سبتمبر المقبل.

أخذ الضابط أحمد يبحث يميناً وشمالاً عن أحمد، فنقب عنه فلم يجده، فأخذ يكلم نفسه أين ذهب أحمد ابن عَمي؟

أمات مع من ماتوا؟

أم قتل في السجون؟

سأبحث عنه من جديد، فلن أمل وسأجده مهما كلفني ذلك فلن أدعه يضل الطريق ثانية أيعقل أن يضيع منى بعدما اقتربت براءته؟

كفى يا أحمد ضياعاً كفاك تيهاً، ألم تتألم بما فيه الكفاية؟

لقد حرمت من بلدك وأمك وكل من تحب، فكلم الضابط أحمد زملائه في كل بلد فقال لهم من يجد أحمد فليخبرني، فأمره يهمني، ثم سأل نفسه:

لماذا لم أعرف له أيٌّ عنوان آخر أو أجد من يعرفه فأخذ يبحث عن من كان يجلس أحمد معه في السجن قبل هروبهم وقبل أن تقوم

الثورة اللعينة التي أتت بالفوضى وعدم النظام بل أتت بالدماء والقتل والتشريد في كل البلدان العربية، فقد ضاعت هيبة الدولة ومكانة الشرطة بل ضاع القضاء ولم يعد هناك أيُّ جيش يحترم حتى من كانوا بالأمس وعاظٌ وقدوة للغير صاروا أضحوكة وسخرية للغير فلعن الله كل ثورة تأتي بالفوضى وإراقة الدماء.

راقب الضابط أحمد كل من يتردد علي بيت المجنى عليها "شيماء جمعه عبد ربه" المتهم في قتلها أحمد ومن يتردد علي زوج أمها فقد لاح لأمها ما كان يخفيه زوجها من طمع وحب للمال فصار خطراً على حياتها فأخذ الضابط أحمد في

قرارة نفسه التأكد من أن القاتل هو زوج أم شيماء المجني عليها فلم يبقي إلا خيط صغير حتى يصل لإدانته فقد راقب مكالماته الهاتفية واخترق "الفيس بوك" والمواقع التي يراسل من خلالها بعض المثليين والنساء المحرفات فوجد رجلاً دائماً ما يهدده ببعض العبارات ويبتذه فتتكرر على "الماسنجر" عبارات "لو ما أرسلت المتفق عليه فسوف تندم"، فردَّ بسرعة عندما وجد ذلك وقال:

سوف أبعث لكم في الحال وفى بعض الأوقات كانت تظهر صورة شيماء في التهديدات وهى مقتولة على "الماسنجر" فظهرت أدلة كافية على

إدانته إدانة مباشرة، فاتجه الضابط أحمد ليبحث عن أحمد لما علم بأنه كان مصاحباً لحسن تاجر السلاح وخاصة أنه علم بتسليم كل المساجّين أنفسهم إلاّ حسن وًأحمد واستكفي الضابط أحمد بتعقب زوج أم المجني عليها عبر "الإنترنت" وبرامج الاختراق، فلم تعد الأساليب القديمة هي وحدها التي توصل للهدف فالآن أصبح الإنترنت بشتى أنواعه من صور أو "فيديوهات" أو برامج تصل إلى خصوصية أي أحد.

سافر الضابط أحمد إلى سيناء في مأمورية إلى هناك، أما احمد فجاءه خبر مقتل حسن ومن

معه عندما قاموا بتهريبهم للسلاح وجاء الخبر كالصاعقة على مسامع "أحمد" "ورشوانة" فانهارت "رشوانة" لسماعها الخبر أما أحمد فقد اختل توازنه فقال في نفسه:

كيف لي العيش هنا بعد موت حسن، يا ويلك يا أحمد من عقاب الله لك!، أين تذهب الآن؟

فأخذ يهدأ من روع رشوانة قائلاً لها:

لا تفعلي في نفسك هذا فهذه إرادة الله فارتمت رشوانة على كتفه وضمها إلى صدره ودمعها يغرقه فقالت إن حسن آخر أفراد عائلتي فهو آخر من تبقى لي في هذه الدنيا يا لي من تعيسة بائسة لقد ضاع منى كل شيء فأبويَّ ماتا

وإخوتي كلهم لم يبقى لي أيّ أحد ثم نادى عليهم الرجل الذى أسمعهم الخبر: هيا لتذهبوا من هنا قبل أن تأتىَّ الشرطة فهي آتية إلى هنا، فقال لها أحمد:

هيا لنذهب من هنا يا رشوانة، فنظرت إليه في تجهم وقالت:

لن أذهب لأىّ مكان وسأظل هنا لأدير المكان كما كان أخي حسن يديره من قبل وأنتقم ممن وشى بأخي وأعمامي فأنا أعرف أماكن وأسماء التجار هنا وهناك فلو أردت الذهاب وحدك فاذهب أما أنا فلا فقال لها أحمد:

أنت هكذا تلقين بنفسك في التهلكة، يا رشوانة فالشرطة قادمة إلى هنا وكيف تخوضين في هذا الهراء وأنت امرأة وحدك؟

فقالت رشوانة:

لا إني أعرف بعض الناس سوف أذهب عندهم سيرحبون بي، فقال أحمد:

وما دوري معكِ لن نذهب لأي أحد أبداً، فأنا لا أعرف أي أحد غيرك وغير حسن هنا، فأنا لن أمضي في هذا الطريق أبداً، فإماً أن تختارين أن تمضين في هذا الطريق أو تختارين أن نعيش سوياً بعيداً عن كل هذا فإذا كنت قد اخترت

هذا الطريق فنحن في مفترق الطريًق فًماذا تختارين؟

أجيبي يا رشوانة لما لا تنطقين؟

أجيبي هل أنا أكلم نفسي؟

فقالت رشوانة:

أنا ياأحمد أحبك ولا أريدك أن تتركني أبدا وخاصة من أجل ما في بطني ففي بطني هو ابنك يجري في أحشائي، فنظر إليها فًي استغراب، وقال ابن من؟عن ماذا تتحدثين؟

فقالت له ابنك يا أحمد!

فجلس أحمد وأشعل سيجارة وأخذ يضرب بكفه على فخذه قائلاً:

وما العمل إذا يا رشوانة؟

لابد أن نذهب من هنا فوراً ومعاً، فقات له رشوانة: لا؛ لا لن أذهب معك، فصرخ أحمد فيها قائلاً:

أقسم بأَللّٰه العَظيم لولم تتحركي معي الآن فسأذهب حالاً من هنا، فقالت رشوانة:

لن أذهب، فلن أذهب معك، فتركها أحمد وهو يقول لها:

ستندمين والله لن يجدي ما تريدين فعله، هيا سلام يا أخت صديقي وأم ولدي وتركها ومضى في طريقه عبر الصحراء هائماً على وجهه بسيارة

حسن التي تركها قبل أن يرحل فأخذ يتمتم ببعض الكلمات فقال:

ماذا أفعل وأين أذهب؟

فطريقي دائماً مظلماً، فيا رب اجعلني أستقر في حياتي فلقد سئمت من هذا الذى أنا فيه من موت وقًتل وسًجن ليتني لم أوُلد بعد، وبينما هو كذلك إذا بصديقه حسن ينادي عليه وهو ملقىً على الأرض قد أدمته الجراح فهو مثخنٌ في دمه فأسرع نحوه أحمد وكان وقت الظهيرة، فحمله أحمد وذهب به إلى المخبأ السرى الآخر غير الذى كانت فيه رشوانة وأخذ يسرع بسيارته وإذا بالهاتف يرن فحاول أحمد أن

يخرج هاتفه فلم يستطع فحسن ملقيً على كتفه فأخرج الهاتف بصعوبة وإذا هي رشوانة تقول لحسن انتظر أنا قادمة معك فقال لها أحمد تعالى بسرعة إلى المخبأ الآخر فأخوك حسن على قيد الحياة وأحضري معك بعض الضمادات للجروح وأمبول لوقف النزيف فقالت رشوانة سأفعل، ثم قالت مستبشرة:

الحمد لله على سلامة أخي، وبعد قليل وصل أحمد حاملاً على ظهره حسن إلى هذا المخبئ السري فهو لا يبتعد عن المكان الآخر إلا بضعة دقائق ووضعه احمد على الفراش بعدما استقبله عدة رجال من رجال قبيلته المخلصين،

فقال لهم أحمد أحضروا لي ماءً بسرعة فقال له أحدهم ماذا حدث؟

لقد سمعنا أنه قتل وقبض على باقي الناس، فنهره احمد وقال له:

أولاً يبرأ ثم نتكلم عن التفاصيل وبينما هم كذلك دخلت رشوانة وانكبت على حسن تقبله وتبكي قائلة ماذا حدث يا حسن هل أنت بخير؟

فصرخ فيها أحمد:

هيا ناوليني ما طلبته ليس هناك وقت، فأحضرت رشوانة الأشياء الطبية فأفرغ أحمد محتويات "الأنبول" في "السرنجة" وأعطى له "الأنبول" ليقف النزيف ثم أمر بنارٍ توقد ثم

أخرج ما معه من سلاح أبيض ثم وضعه على النار وبعد مرور عدة دقائق حميَ السكين ثم جاء إلى جسد حسن وشرع في استخراج ما به من طلقات فكان في جسده طلقة في ذراعه الأيمن وأخرى في كتفه الآخر والثالثة في عضديه وبعدما أخرج الثالثة لم ينتبه حسن من غيبوبته مما استدعى الخوف في قلوبهم والقلق، فقالت رشوانة:

لماذا لم ينتبه؟

أهو على قيد الحياة؟

فقال أحمد:

إنها برهة من الوقت ويفيق من غيبوبته هيا دعوه واخرجوا من هنا، وأنت يا رشوانة اجلسي بجانبه فهو في احتياج لك الآن فخرج الجميع على الفور وبقيت رشوانة معه تمسح له جبينه وتجفف له عرقه وبعد مرور ساعات جلس فيها أحمد ومن معه يحدقون في بعضهم ويشعلون سجائرهم وفجأة يسمعون صوت صراخ وتوجع فحسن بدأ يفيق ويصرخ آه... آه فأسرع أحمد هو ومن معه إلى حسن فجلسوا معه يهدئونه ويطيبون جراحه و يتحدثون معه.

ومضت الساعات بين ألم لحسن وترقب لأحمد ورشوانة ومن معهم، وبعدما جلس حسن وحكى عما حدث له قبل أن يأتي إلى هنا، فقال:

لما ذهبنا لنبيع الأسلحة وبينما نحن كذلك هجمت علينا الشرطة وكان معهم ضابط جديد اسمه أحمد من القاهرة، فقال أحمد:

صفه لي، فقال حسن:

إنه طويل القامة أبيض اللون له شارب كبير وأيضاً فهذا الضابط قد نقل إلى أمن الدولة قريباً فقال له أحمد لقد عرفته إنه نفس الضابط الذى تولى التحقيق في قضيتي ووكل محامياً لي، وسأله أحمد:

ثم ماذا يا حسن؟

فقال حسن:

ثم هجم علينا بقواته فتبادلًنا إطلاق النار فقتل من قتل وفر من فر فأصيب الضابط أحمد في بطنه وأصبت ولكنني لم استسلم ففررت بسيارتي نحو الجبل وهم يطاردونني ولكن رجالنا تصدوا لهم وأوقفوا هجماتهم وها أنا ذا بين الحياة والموت فقال أحمد حمداً لله على سلامتك ولكن لا مكان لنا بعد الذى حدث هنا فهل هناك طريقة لنخرًج بها من مصر؟

فقال حسن إن شاء الله بعد يوم أو يومين، فتكلم حسن ومن معه ورشوانة أما أحمد

فيفكر في هذا الضابط وكيف يصل له ليطمئن عليه، فأخذ حسن يكلم أحمد ولا يرد عليه أحمد فقال حسن أين ذهبت؟ في أيّ شيء تفكر؟

فقال له أحمد لا، لا شيء أنا سأذهب لأشتري بعض الأشياء أنا ورشوانة وذهبا معاً ناحية المستشفى التي بها الضابط أحمد، فقالت رشوانة:

لماذا جئنا إلى هنا فقّال احمد سأطلب منك أن تدخلي هذا المستشفى على أنك ممرضة وتطمأنين على الضابط أحمد وتأخذي منه رقم الهاتف وتقولي له أحمد أرسلني اليك فذهبت

رشوانة واشترت من ممرضة لبسها وأعطتها بعض النقود حتى تدخلها المستشفى ولم تعترض رشوانة على أحمد لأنها تعرف من هو الضابط أحمد وماذا فعل مع أحمد ولكنها تعجبت فكيف يعرف مكانه ولكنها تذكرت أخيها حسن وهو يتحدث عنه وعن الصدام الذى دار بينهما وما إن دخلت المستشفى وعرفتّها الممرضة مكانه ودخلت معها فاستأذنت ممن يقفون حجاباً على بابه أن تعطيه الحقنة حتى أذنوا لها فاقتربت رشوانة من الضابط أحمد وقالت له:

أحمد يطمئن عليك، فقال لها:

ومن هو أحمد هذا وانتِ من؟

فقالت له لا تنزعج، فأحمد هذا هو من كنت تحقق معه في قضيته وأحضرت له محامياً، فأحمد هذا من القاهرة فقال لها الضابط:

نعم تذكرته انا أريد ان أراه فبراءته قريبة إن شاء الله، فقالت للضابط أحمد إنه يطلب منك رقم الهاتف فقال لماذا؟

انا من يريد رؤيته، فقالت رشوانة هو خائف منك هيا اعطني الرقم وسوف يكلمك، فقال لها الضابط أحمد ومن أنت واين يقيم؟

فقالت رشوانة:

هو سوف يعرفك كل شيء، فقال لها الضابط

أحمد:

سجلي الرقم فقالت:

وما هو؟

فقال هو:

٠٠٠٠٠١١١١٠ واجعليه يتصل بي حالاً، فسجلت الرقم على هاتفها وانصرفت وفى المرحاض غيرت ملابسها حتى لا يتبعها أيّ أحد وأحضرت الكرسي المتحرك وخرجت على هذا الكرسي ثم وضعوها سيارة الاسعاف إلى الخارج وبعدما خرجت نزلت بمكان ما واعطت من فعلوا معها ذلك بعض النقود وانصرفت، ثم اتصلت بأحمد لما اطمأنت ليأتي لها في هذا

المكان، وبعد قليل جاء أحمد بسيارته وأردفها معه وانصرفا ثم أعطته رقم الهاتف الذي أتت به من عند الضابط أحمد وبعدما سجله على هاتفه اتصل به وكلمه فقال له:

يا أحمد تعالي كي اراك فلدي بعض الأخبار السارة لك، إنها أخبار تخص قضيتك وعائلتك

فقال له أحمد:

سآتيك إن شاء الله وأغلق معه أحمد الهاتف فنظرت اليه رشوانة متعجبة بعدما سمعت المحادثة، فقالت له:

يا أحمد هل تذهب اليه حقاً؟

فقال أحمد:

لا لن اذهب إليه، فهو ينوي بي الشر هيا لنذهب إلى حسن الآن وانطّلقا بالسيارة وفي طريقهما قالت له رشوانة:

ماذا تنوي فعله؟

فقال لها أحمد:

سنترك مصر إن شاء الله ونسافر إلى إيطاليا عبر البحر فلقد اتفقنا مع رجل يعمل في هذا الشأن وسيجهز لنا ما نريد فقالت رشوانة:

انتظر فهناك الشرطة أمامنا، فتوقف أحمد وغير مساره.

الفصل الثالث

وبعد قليل وصلا إلى حسن ليجداه قد استعد للسفر فقالت رشوانة لحسن ولماذا العجلة اذا؟ لماذا لا تنتظر حتي تبرأ من جروحك؟

فقال لها حسن:

لو انتظرنا أكثر من ذًلك فسيكون مصيرنا السجن، فقال لها أحمد:

إن الشرطة على مقربة منا فهم يبحثون عنا في كل مكان فقال حسن:

هيا يا رشوانة اذهبي إلى عمك كمال وسنرجع عما قريب، فلم تمتلك رشوانة نفسها وبكت

بكاءً شديداً فلم يتغابى أحمد بل ترجم بكاءها، ثم نظر إلى حسن وقال له:

يا حسن قبل أن نسَافر أريد منك أن تزوجني رشوانة فقال حسن:

ولما العجلة إذا؟

فقال أحمد:

يا حسن لا ترفض لي هذا الطلب فقال حسن:

وهو كذلك سأبعث لَأحضر المأذون، فبعث حسن ليأتون "بالمأذون" وبعد قليل أتو به وكتب عقد الزواج عليهما واحتفل الجميع بما فيهم حسن وهؤلاء الرجال الأوفياء، فقالت رشوانة

لو انتم تحبونني حقاً فلتمكثوا هنا هذه الليلة معاً إلى الصباح فقال حسن:

لقد فهمتك يا عفريتة من حقك تعالي يا أحمد خذ عروسك وادخل بها فقال أحمد:

نؤجل ذلك لحين عودتنا فقال حسن:

لا يا أحمد لابد أن تدخل بها حتي تكون زوجتك هيا فأمسك أحمد بيد رشوانة ودخل بها وبعث حسن أحد رجاله ليأتي بطعام وشراب وبعض الأشياء التي يحتاجونها ودخل أحمد على رشوانة، ولكن ليست كفرحة أول مرة يدخل بها رجل بزوجته فجلس أحمد على السرير وأشعل سيجارته وبجواره رشوانة فأمسك بيدها

وأخذها نحوه وقبلها ونظر اليها وقال لها سأعود اليك مهما ابتعدنا فأنا أحببتك يا رشوانة من قلبي ولولا ما نحن فيه من مطاردة وشرطة وسجن ما تركتك في مصر أبداً، فقالت رشوانة هيا اعطني وعداً يا أحمد ألا تنساني مهما حدث، فقال لها:

أعدك بذلِّك، ثم عانقها أحمد وأخذ يقبلها ليقيما علاقة زوجية شرعية بينهما، وبعد قليل طرق الباب فقال أحمد من بالباب؟

فقال له حسن:

انا ياأحمد افتح الباب، ففتح الباب أحمد فنظر فإذا بحسن قد أحضر لهما الطعام

والشراب وأشياء لهما، فسر أحمد بصنيع حسن وعانقه وهو يبتسم.

مضى الليل بمتعته مع أحمد ورشوانة فليْلٌ يمضي ونهار يطول ومآسي تعقبها مآسي وأحزان تتلوها أحزان فدنيا لا ترحم وبشر كالذئاب حبٌ بعده بغض، وحياة بعدها موت ومرض ثم شفاء، أوجاع وأسقام، وأناس تتعرى، فظمأ وجوعاً أممٌ تهدم أمماً وشعوب تبيد شعوباً، فلا مكان للشرف وسط الخنازير فلا يحق لأسدٍ أن يلعق رأسَ الصرصور أو لدنيا الخَرفان أن تصبح عفناً يرقص بين الماضي وبين بكاء الأطفال وبين أحضان الثكلى فيضيع الحاضر

ويبقًى الماضي بكل لغات الحمقى فلحنٌ ينزف فوق مفاتن فتيات الليل فلا تجد أرضاً تئوي صغار الضعفاء.

أتى النهار وودع أحمد زوجته رشوانة ودماء قلبه تثور فلا يعرف ماذا تخبئ له الدنيا من ألم آخر وأوجاع أخري، أم أن الله سيرضى عنه هذه المرة فكم من حب مزقت أركانه الدنيا وطُويَّ مع النسيان فأحباب نتركهم بلا وداع أو حتي لمسة حب فهل أصبح في هذا الزمن حب أم أن الحب لا يوجد الا قبل الزواج؟

لماذا يتغير كل احساس بالحب بعد الزواج؟

وأين يذهب الشوق والتفكير في المحبوب؟

فتنعدم اللهفة بل ينعدم الحب ذاته من قلبك فتبحث عن امرأة أخرى فربما تجد معها السعادة بل تجد المتعة هي هدفك فلا مكان لهذه الكلمة، فمن الممكن أن تجدها مع الأم لولدها والابن لأمه وأبيه أما حب الشهوة فهو حب مزيف تشوبه كل شائبة قذرة فلو جاءت امرأة أفضل وأجمل ممن تعاشرها لذهبت معها ولأسرعت تلهث وراءها، فأين إذاً الحب وأين يسكن؟

أهو حب للشهوة فتأخذ وقتها وتمضي لحال سبيلها أم هَو حب الجسد للجسد وفقط، فالرجل حقاً يحب ولده حباً جماً، أما المرأة

فتحب المال وتحب كل جميل حسن وتعشق من يكرمها حقاً من لا يجعلها تندم أبداً أو تتألم فتعشق من يدفع أكثر، من يأتي بكل انواع الزينة، ومن يأتي بالملبس والمأكل، فإن اردت أن تعاشر امرأة فعاشرها بدون أن تمكث معها فالمكوث معهن دربٌ من الجنون فابحث عن المرأة أو فتش عن المرأة كما قال "نابليون بونابرت"، فهي سبب في دخول الرجال الى السجون وإلى المصحات العقلية والعصبية والنفسية وفى القبور وفى الحانات وفى الشوارع حيث يسير رجال في الطرقات قد فقدوا عقولهم وفى المستشفيات قد ملأت بسببهم، بل مصير

شعوب العالم، مع إنها هي المرأة سر سعادة أبويّها بل هي حنان وعطف في الدنيا فإذا بحثت عن الرحمة والتضحية وإنكار الذات كل ذلك عند المرأة فهي أمنُا واختُنا وبنتنا وعمتنا وخالتنا لا ننكر ذلك ولكنها مع زوجها شرسة متسلطة خاصة في هذا الزمن.

سافر أحمد ومعه حسن إلى إيطاليا بأسماء مختلفة بعض الشيء ووصلا إلى هناك بعد عناء وتعب فقد أجهدهم السفر فقد سافروا إلى "ليبيا"، ثم ركبوا قارباً في عرض البحر نجا فيه من نجا وغرق من غرق، فكثير من الشباب من يسافروًن بنفس الطريقة يريدون أن يهربوا

من بلادهم إلى "إيطاليا" فأكثرهم يموتون دون أن يصلوا إلى هناك ويكررون هذه المحاولات دون ملل أو يأس منهم.

نزلا أحمد وحسن إلى امرأة إيطالية كان يعرفها حسن عندما كانت في "شرم الشيخ" من عدة سنوات وكانا على اتصال دائم طوال الوقت على "الفيس بوك" "والواتساب" يتحدثان مع بعضهما حتى كلمها حسن وأعلمها بأنه سيأتي اليها فرحبت بهما ولولا خوفهما من أن يتعرف عليهما في المطار لركبا طيارة ولكنهما أخذا حذرهما فاستقبلتهما هذه المرأة وتدعى" سريانا" وكانت شقراء اللون صفراء الشعر زرقاء

العينين لا يتجاوز عمرها الخمسون عاماً وتقطن في منزل هي وابنتها فمنزلها يتكون من طابقين ولها فتاة في السادسة والعشًرين من عمرها تقطن معها في نفس المنزل وتدعى ميرنا كانت متزوجة من فتىً من بلدها ولكنه عاقر المخدرات والخمر وأودى بنفسه إلى الموت، فقد أخذ جرعة زائدة من "المكس" "والكوكايين"، فلقي حتفه فأصبحت ميرنا بلا زوج من حينها، فدخلا حسن وأحمد ورحبتا بهما سريانا وميرنا وبعدما اغتسلا وبدلا ملابسهما واستراحا بعض الوقت جلسا حسن وأحمد مع ميرنا وسريانا فقال حسن أعرّفكم على أحمد صديقي الوحيد

وقص عليهم بعضاً من حياته ثم أشار على سريانا وقال هذه صديقتي منذ اعوام يا أحمد، فهي سيدة أعمال وتمتلك فندقاً ومصنعاً للورق في "نابولي" "وتسوكانا" وهذه بنتها ميرنا الوحيدة ومديرة فندقهًا "سكانا سيتي" فقالت سريانا:

استريحا وشاهدا معالم إيطاليا وخذا وقتكما ثم انظرا في أي المكانين تعملا في الفندق أو المصنع، فقامتا سريانا وميرنا وانصرفتا لتتركا أحمد وحسن وحدهما في إيطاليا الجميلة مهبط كل سائح بين آثارها الرومانية فهي بلد الأساطير وبلد "سبارتكس" محرر العبيد فإيطاليا هي روما القديمة بلد "يوليوس قيصر" "و قسطنطين"

وبها معالم أثرية مثل) "الكلسيوم" "وبونت دو جارد" والمدينة التاريخية التي تضم ميدان "سان بيتر" والمسرح الروماني المدرج "الكلسيوم" الذي احتضن لسنوات طويلة حلقات المصارعة بين الأشخاص والوحوش ونافورة "تريفي" التي تحوي تماثيل عديدة يرجع الفضل في تصميمها إلى الفنان "نيكولوسافي" خلال القرن الثامن عشر وبها متاحف "الفاتيكان" التي تسمى بالدولة الصغرى في العالم التي تبلغ مساحتها اربعمائة من الكيلو المترات فقط، إضافة إلى العديد من الحدائق والمتاحف والملاهي والمطاعم التي تزخر بها العاصمة وبها أيضاً

النصب التذكاري للملك "فيتوريو ايمانولي"(الذي تم تشييده على شرفة بعد توحًيد ايطاليا وقلعة "سانت انجلوا" التي تعد من أعظم الاضرحة في العالم تشييداً، ونافورة "تريفولي" الشهيرة جداً التي يعتقد الايطاليون والسياح الأجانب بأن رمى قطعة معدنية بداخلها يحقق أمنيتك وهى من أروع أماكن الترفيه والتسلية، وبها مدينة الملاهي " لونا بارك" ومسرح السيرك الوطني وبها مدينة" البندقية" "فينسيا" التي تجري بها القوارب ومن أهم الأشياء التي تميزها برج "بيزا سان" المائل وبها جزيرة "صقلية" "وسردينيا" ومما يميزها أيضاً عن غيرها شعبها

الطيب الودود شديد الاحترام، وسكانها مثل سكان مصرفي العددً وهي من أكبر الدول ميزانية وهي الخامسة على العالم فيزور إيطاليا أكثر من ثلاثة وأربعين مليوناً سنوياً ومتوسط عائدها السنوي بحوالي اثنين وأربعين مليون دولار، فهذه هي إيَّطاليا فكان ولابد لأحمد وحسن أن يِريَّا كل هذه المعالم ويشاهدا هذه الروعة والسحر في مبانيها ومدنها فكان أحمد يسير مع ميرنا إلى هذه الاشياء الجميلة الممتعة وحسن يسير مع سريانا أيضاً وخاصة أن حسن يقرب عمره من الأربعون عاماً، فهو مناسبا "لسريانا" أما ميرنا فقَّد وجدت من أحمد صفحة جديدة

في حياتها فاستَّبشرت به وأًعجبت بهدوئه وروعة كلامه المتزن المتناسق فخرجا مع بعضهما إلى الاماكن الأثرية والسياحية فقد ذهبا إلى هنا وهناك فأطلعته على الفندق والمصنع التابع لهما هي وأمها وبعد مشاهدات كثيرة وسياحية في مدن إيطاليا وشواطئها يجتمع كلهم على المائدة يوم العطلة فلا يعملون في يوم العطلة ويحترمون هذا اليوم فقالت سريانا لحسن:

أنت يا حسن من الآن تعمل في الفندق في وظيفة أنت تختارها وأنت ياأحمد تعمل في هذا المصنع وميرنا معك في المصنع فستكون مسؤولاً عن الانتاج في المصنع وحسن مسؤول عن إدارة

الفندق فسريانا من أصول عربية ولدت في الجزائر وأمها من روما فيتكلمان باللغة العربية بطلاقة فهي تفهم طباع الناس فإنها قد أخذت شهادة عليا في علم الاجتماع فإنها ذات نظرة فاحصة في أبعاد الأمور وما عليه الناس من دهاء ومكر.

يذهب أحمد إلى مصنعه وباشر عمله فوجد اختلافاً كثيراً وفرقاً كبيراً بين ما فيه الغرب ومنهم إيطاليا وبين العرب ومنهم مصر فهنا في إيطالّيا العامل يُجّل ويحترم ويمنح كل حقوقه كاملة دون حاجة للجوء إلى الشرطة أو القضاء فلهم الحق في كل ما لهم كاملاً، فلهم ساعات

العمل على قدر صحتهم فلا تزيد ساعات العمل الثماني ساعات فيأخذون الأجر كاملاً وكما يجب فالمال يكفى ليترفهوا به فضلاً على أنه يكفي لأن يفتح بيتاً ويربي طفلاً صحيحاً لا طفُلٌ مريضٌ مشوهُ القلب والمخ والذات ولديه ازدواجاً في الشخصية، فهو يقرأ ويسمع كلاماً ويرى ويلمس كلاماً آخر فنحن في عالمنا نعَيش في صراع أبدي وعيش في كفاح دائم بين كل ما نجد فنحن في بلادنا في أرضنا بين إخواننا وآبائنا وقادتنا تجد الأب في صراع مع الأبن فإما أن يعيش الأب ويموت الإبن أو يعيش الإبن ويموت الأب بمعني إذا عاش الأب وأكل وشرب ولبس

الجديد فإن الإبن لن يلبس أو يشبع أو يتعلم أو يصل إلي شهادة عليا وإذا تعلم الإبن ووصل إلى الثانوية العامة أو الجامعة وكان للأب من الأولاد ثلاثة أولاد أو أكثر فإن الأب لن يهنأ بعيش أو يشبع بلقمة خبز فضلاً عن قطعة لحم أو يري ثوباً جديداً الا كل خمس سنوات، فستحرم الأم والأب وباقي إخوته لسد احتياجاتهم من دروس خصوصية وملخصات إجباريّة وكتب قد كتبها أساتذة الجامعات فلا ينجح الطالب ويتعدى مرحلة تعليمية أو عام دراسي إلا إذا اشتري هذه الكتب والملخصات وأخذ هذه الدروس فتجد المدرس باكياً على

حاله فهو من معدومي الدخل وراتبه أقل راتباً ولا يستطيع أن يشتري شقة يقطن بها أو سيارة يمتطيها فضلاً على أنه لا يجد ما يسد به رمقه إن جاز التعبير بينما يأخذ القضاة وغيرهم من موظفي الدولة راتباً يكفي لأن يعيش به الذين يقطنون في المتنزهات وتحت الكباري وفى المقابر عشًرات السنين رغم أن المدرس هو من علمهم وأوصلهم إلى ما هم فيه فهو الذي يتخرج على يديه الضابط والمهندس والطبيب وكل من علا في راتبه الا إنه أدناهم راتباً وأقلهم احتراماً، فبعدما كان المدرس هو المربي والمعلم الذى يحترم ويبجّل صار هو الذي يستطًيع أن يضرب

أو يُخوّف وإذا ضرب أو أرهب عوقب وسجن وذاق أمر العذاب فهذه بلادنا بلاد الجهل والجوع والمرض، مثلث الرعب كما قيل اذا أردت أن تسيطر على شعب فسلط عليهم الفقر والجهل والمرض فهذا هو مثلث الدمار الذى يحيط بنا من ألاف السنين من أيام الفراعنة إلى يومنا هذا فالفراعنة كانوا يعيشون في رغدٍ من العيش والتزيّن بالذهب والأحجار الكريمة وباقي الشعب يعملون عبيداً لهم ولخدمتهم فقط ويعيش الفراعنة عيشاً رغيداً ويموت الشعب فمن أجل من يحكمنا نموت نحن حتى يعيشوا هم فنحن نعيش في الأمراض

والأوبئة، فتجد من الشعب المصري الآلاف يغسلون كلوتهم والملايين تَلفت أكبادهم والملايين قد أكلت أبدانهم السرطانات فقد جلبوا لنا الأمراض في غذائنا وشرابنا وفى كل شيء فمبيدات للآفات في ظاهرها، وباطنها هي للإنسان العربي لتقتله بالفشل الكلوي والتليّف الكبدي وبالأمراض الخبيثة القاتلة ففنادق وقصور على النيل تصرف في ماء النيل ومصانع تلقي بمخلفاتها في مياه النيل، فماذا تسمي هذا أهو جهل أم قتل أماذا؟

فهل هذه هي بلادنا؟

أهي حقا؟

فيموت فيها الفقير كمداً وينتحر العلم ويجوع العلماء ويتركون أوطانهم لمن خذلوهم ويذهبون إلى الغرب ليشتري عقلهم وفكرهم ويكرمهم كما ينبغي بل يُسجن في أوطاننا كل لبيب وكل نبيل وكل بناء أو من أراد العيش في كرامة أما الحمقى، أما القوادون فلهم الاحترام والتبجيل، وتحترم وتبجل وتقدر بأسمن الأسعار كل راقصة أو داعرة وكل ممثل رخيص أو مطرب لا يصلح لأن ينادي على الموتى بل ضاع معنى الحب والانتماء لأى بلد، لا يهم فقد هاجر معظم الشباب إلى كل مكان حتى إلى بلد بنى صهيون ليبيعوا السجائر ويغسلوا الأطباق

وينظفوا الأحذية، فلا عار ولا غبار عليهم فهم تركوا بلداً فيها الخير كثيراً ولكنه ليس للشعب بل لكل لص وصاحب مصنع يضر الناس ولمن يأخذون كل مناقصة وعطاء من الدولة، بل هي لكل من سرق قوت البلد ليضعه في بطنه وحده دون غيره، فتجد الطوابير المتنوعة فطابوراً للخبز وآخر للسكر والأرز وآخر للزيت وثالث ورابع للسولار والبنزين بل تقطَّع تذكرة للمستشفى في طابور وزحام وإذا أراد الموظف أخذ راتبه ففي طابور أيضاً، فأي ذل وعار ما نجده في بلادنا هذه البلاد التي يملأها الخير.

، كل هذا كان يتحدَّث به أحمد مع ميرنا لما قابلها في المنزل فقالت ميرنا:

إن في بلادكم الخير الكثير فبلادكم بلد الحضارات والإسلام أي عندكم ذاكرة وتراث أدبي وفكري ومعماري فالإسلام دعا إلى العلم والعمل في القرآن والسنة وإلى بناء الذات والتفاعل مع الآخر والتحرر الفكري والإبداعي والابتكار واستخدام الأيدي في العمل وإعمال العقل بلا معجزات فكان عندكم "ابن النفيس وابن سينا وجابر ابن حيان والجاهز والكندي والرازي وابن الهيثم وابن رشد وأبو الوفاء والبيروني" كلهم كان لهم إسهام في شتى المجالات

ففي "الجبر والرياضيات والفلك والفلسفة والفيزياء والبصريات والطب والفقه والحديث والأدب وحساب المثلثات"، ألا يكفي ذلك لأن تقودوا الأمم ولأن تتقدموا وتنهضوا؟

فقال أحمد:

لقد كنا في الماضي قادة للأمم لقرون كثيرة حكمنا العالم شرقاً وغرباً من أقصى إلى أقصى فكان العدل بيننا حكماً وكنا لا نقلد أحداً ولا بلداً فكّان الإسلام يدعم فينا الأخلاق ومكارمها وإلى الإيثَّار وحب الغير والتضحية ونبذ البغض والحقد والحسد واحتقار الغير والسخرية من الناس والكذب والغيبة والنميمة والقتل والزنا

والربا والمسكرات فلما فعلنا ما نُهُينا عنه وتركنا ما أمُرنا فكان هذا مصيرنا، فأصبحنا في ذيل الأمم وأصبحت عندنا أزمة أخلاق فضاعت كل مبادئنا وتمزقت القيم فبدلنا ماضينا بحاضر قميء عفن ردئ فقد كان الإسلام ماضينا فقلنا حضارة الفراعنة هي ماضينا فعدنا للأوثان وللأصنام ولهثنا وراء كل حضارة ورقي وتمدن فعدنا بالخيبة والخسارة ففقدنا هويتنا الدينية والثقافية فصارت بلادنا بلاد الرقص والغناء والحروب الأهلية والتصارع القبلي المزيف، فقالت ميرنا:

دعك من هذا كله وتعالي لأرسم لك صورة، فقال لها أحمد:

أعندك وقت لهذا كله فإن العمل يأخذ جل وقتنا؟

فقالت ميرنا:

سأتفرغ من أجلك وأجعل وقتي كله لك إن شئت هيا اجلس، فجلس أحمد وهو ينظر اليها ويتأمل محاسنها وجمالها فهي شقراء اللون كأمها ولون عينيها يشبه لون الزرع الأخضر في الصباح كأجمل ما تكون الأعين وشفتيها قد نحتت لتكون أروع شفاه تراها وشعرها الأصفر الذى يشبه سلاسل الذهب وهى كلها حين تراها

تعلم أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وبعد قليل قامت ميرنا فوضعت يدها على رأسه ونظرت إليه نظرة إعجاب وحب، فلما رأى أحمد منها ذلك قام وقبلها قبلة طويلة ثم عانقها، وبعدها دخلا لغرفتها معاً وضاجعها كما يفعل الرجل مع زوجته فتكون هذه قصته الثالثة وثالث امرأة في حياته، فالأولى شيماء التي أحبها حباً جماً، ولكنه بدأ ينساها بمرور الوقت فالأيام تنسى وهذه نعمة من الله، فقصة شيماء لم تنتهي بعد فلها جذور فما زالت قضيته مستمرة في المحكمة ولم تنتهي بعد فقد توصل الضابط أحمد إلى القاتل الحقيقي

ولكن أحمد ما زال لا يعلم فالضابط أحمد توصل إلى الجاني الأصلي، فقد توصل إلى اثنان مأجوران هما من فعلا ذاك، فهو قدم أدلته من اتصال ومكالمات "فديوا" "وماسنجر" ورسائل "وواتساب" مما اضطر هذان المأجوران ليدليا بأقوالهما فيخبرا العدالة بمن استأجرهما ألا وهو زوج أم المجني عليها الذى حاول أيضاً قتل زوجته أم شيماء ليستولي على ثروتها وما تمتلكه، فحكم عليه بخمس عشر سنة والآخران بالمؤبد أما أحمد، فقد نال البراءة مما دفع الضابط أحمد ليبحث عن أحمد بن عمه بكل وسيلة وطريقة فأخذ يبحث

في سيناء وفى كل مكان كان فيه بعدما فرح ابو أحمد وأمه وإخوته ببراءته ولكنهم اشتاقوا لرؤيته ولكن القدر ما زال لم يأذن بعد لأن يعودوا إلى بعضهم وأما قصته الثانية فهي رشوانة زوجته وأم طفله الذى لم يرى الوجود بعد، وأما الثالثة فهي "ميرنا". فهل هو يحبها ام لم يعد يحب كالكثير من الرجال فبعدما يتزوجون لا يفكرون في حب أو كلمة حب لأنها علاقة لا يوطدها إلا المودة والرحمة بين الزوجين فالحب المتبادل الذى لا يعرف البغض، والاحترام الجميل الذى لا يعرف السفه ولا الفحش، فطاعة الزوجة لزوجها

واجبة دون أي اعتراض أو تذمر أو بسط لشخصيتها على شخصيته وارتفاع صوتها وعصبيتها وغيرتها وبعدها عنه بجسدها أو روحها وعدم اهتمامها بنفسها من مظهر وملبس ونظافة وانتظارها لزوجها واستيقاظها وقت استيقاظه وصبرها عليه ومداعبة زوجها وقضاء ما يحتاجه من تنظيف لملابسه وتجهيز لطعامه وشرابه وإشباع لرغباته فمن لم تفعل ذلك من النساء فلا تلومن الا نفسها إن تركها أو تزوج بغيرها أو حدث له أي مكروه فهي المسؤولة الأولي وحدها امام الله وأمام نفسها أما الرجل، فلن ندافع عن الرجل بل هو يريد ما طلبناه من

المرأة أما واجبه هو فإحضار المأكل والمشرب وتوفير السكن لها والدفاع عنها وحمايتها ورعايتها صحياً واجتماعياً، ومداعبتها وحقها الزوجي، فحقوق المرأة أكثر فالرجل يعمل دائماً أَكثر من اثنتي عشرة ساعة في اليوم فيرجع مجهداً محتاج لمن يعد له ماءه كي يغتسل وطعامه حتى يأكل ويشرب فهو يحتاج إلى كلمة طيبة ونظرة رحيمة وصوت عطوف خافت لا تنعق كما ينعق الحمار ولا تولول ولا تصرخ بل تتعامل بكل هدوء وحنان وأنوثة فالانكسار للمرأة عزها وشرف لها وحب في قلب زوجها لأن المرأة المنكسرة الضعيفة أي الرقيقة تكبر في

عين زوجها وتصبح عزيزة كريمة، فهنا الحب هو عدم الهجران أو الطلاق أو التزوج بغيرها.

فيا ترى هل هذه آخر قصة نسائية لأحمد الذي غير اسمه باسم احمد اسماعيل؟

أم سيكون هناك قصص أخرى؟

ويجتمع حسن مع أحمد في الصباح فكلاهما يستمتع بعلاقته مع" سريانا" وميرنا" ويبلغه أن رشوانة تود أن تكلمه وقد أرسلت رقمها على" الواتساب"" وماسنجر"كي يتحدثا مع بعضهما محادثة" فيديو" فكلم أحمد زوجته رشوانة وكلمته عن حملها وأن الذي في بطنها ولد وقالت له ماذا تسميه؟

فقال لها:

نسميه" محمد"، فضحكت بشدة ثم سألها هل الضابط أحمد يسأل عن أخباري وماذا فعلت قضيتي المتهم فيها بالقتل العمد؟

فقالت له:

لا أعرف شيئاً عن هذا ولكن سأسأل لك عن قضيتك وأخبرك عما قريب وأنت كيف حالك؟

فقًال لها أحمد:

الحمد لله علي كل حال، فقالت رشوانة:

هل تفكر في كما افكر فيك؟

فقال لها أحمد:

نعم؛ افكر فيك وأحبك كثيراً، فقالت رشوانة:

وكيف هي أخبار حسن هل جروحه شفيت؟

وماذا تعملان هناك؟

فقال لها أحمد:

أنا أعمل في مصنع للورق وحسن يعمل في فندق، فقالت رشوانة:

أنا أعرفك تحب النساء فإياك أن تنظر الى أي امرأة هناك عندكم، فقال لها أحمد:

لا تخافي فأنا أحبك أنت ولا أحب سواك هيا سأكلمك مرة أخرى، فقالت رشوانة:

استودعك الله، هيا كلمني دائماً وقبل أن تنام وكل يوم، فقال لها أحمد:

انتبهي لنفسك وما في بطنك هيا إلى اللقاء سلام عليكم، فأخذت رشوانة تقبله عبر الهاتف وأغلقت، ثم انصرف أحمد ليستكمل عمله بين الماكينات وعملها الدائم وصيانتها، فكان أحمد لا يستكفي بما كلف به من عمل كمسؤول عن الجودة والإنتاج فكان يتدخل في الصيانة مما جعل من يعملون في الصيانة من مهندسين وعمال ينبهرون به ولكنه ما زال منبهراً بما عليه الناس في تلك البلاد من التزام في مواعيد العمل وعملهم دون رقيب أو ملاحظ عليهم فهم في عمل مستمر فلا يعرفون الكسل ولا الهروب من العمل أو العمل بل ضمير أو الإهمال أو عدم

النظام والنظافة كما عندنا فهم وأصحاب المصانع والمنشآت هناك يملكون عادات وتعاليم الإسلام بلا إسلام ولأن أيضاً بلادهم ترعاهم وتلبى احتياجاتهم فتجد رجل النظافة له زيٌّ كريم ليس مهلهل أو كالشرنقة فمسكنه كمسكن وزير عندنا فلا يمد يده إلى الناس ليتسول أثناء العمل ولا تمد له الناس أيديها ليعطوه، فكل انسان عندهم يمتلك كرامة وحباً لبلده فيعطي كما يأخذ لا من أجل المال بل لتنهض دولته فهي تساعدهم على ذلَك وهى لا تطردهم خارج حدودها ولا تشردهم ولا تسجنهم من أجل تأخرهم في دفع قسطٍ لثلاجة

أو غسالة عجز عن دفعه أحدهم أو تقتله لأنه طالب بأدنى حقوقه مثل لقمة العيش التي لا يجدها فأطفالٌ في بلادي تموت جوعاً، فلو أنكَ نظرت في ليل أو صباح تحت الجسور وفى المتنزهات وعربات القطارات لرأيت العجب العجاب

فأطفال في عمر الثلاثة والأربع والخمس سنوات ينامون هكذا تحت هجير الصيف وبرد الشتاء ويبحثون عن رغيف عيش بين ركام القمامة وفى صناديقها وتمد لهم الشرطة يد العون فتأخذهم إلى السجون ولتحبسهم وتذيقهم أشد العذاب فيدخلون السجون مع المجرمين

الكبار منهم والمراهقين فيهتكون أعراضهم ويتركونهم ليعيشوا شواذٌ مرضى قد مُلأت صدورهم بالبغض للمجتمع ومن فيه فيسرقون ويهتكون أعراض الأخرين كما فعل بهم وهم صغار وربما خرجوا على المجتمع بكل جريمة وبالقتل وبكل شيء بدلاً من رعايتهم وتسكينهم في دور كريمة بها من المأكل والمشرب والملبس والتعليم والرعاية ما يكفيهم فيفعل بهم هذا، فهذه هي بلادي بلاد الحضارات كما يدعون فلن نكون قادة للعالم ولا نسود العالم ولا نُحُترم إلا عندما نعالج أخلاقنا ونعود كما كان أسلافنا

كان خلقهم القرآن وكانوا قرآنا يمشون به على الأرض.

عمل حسن عملاً متواصلاً فكان يسهر ليله مع سريَانا فيقضي معها وقت فراغه ولكن الغربة هي الغربة فحسن رغم ما هو فيه فيجلس احمد مع حسن ويتذكرا كلاهما ما كان منهما في صغرهما فتذكر أحمد عندما كان صغيراً ولعبه بين النخيل والأشجار وما كانت فيه بلدته من هدوء وأصوات الأشجار والطيور التي كان يستيقظ على صوتها وصفاء السماء كل ليلة وبدأ يحن إلى مسقط رأسه فيتذكر أبيه وأمه ومعالم وجههما لا يفارقان خياله ولا سيّما وأنه

في هذه الأيام أصبح يري أمه في المنام دائماً وصوتها يتردد في أذنيه مما جعله يتصل برشوانة ويسألها عن قضيته ويطلب مًنها أن تأتى له برقم الضابط أحمد، فزفت له رشوانة الخبر الجميل الذى أسعده، فقالت له مبارك ياأحمد لقد ظهرت براءتك فزوج أم شيماء هو القاتل ومعه اثنان من المجرمين أما أنت فقد بُرئت ساحتك وسأبعث لك بما تريده من ورق كي تسترد اسمك الحقيقي وتعيش به وإذا أردت أن ترجع إلى مصر فارجع في أي وقت تشاء.

الفصل الرابع

فقال لها أحمد:

حاولي أن تجمعي لي كل المعلومات عن الضابط أحمد وبلده وعائلته ورقمه حتى أكلمه وأصل اليه فأنا أريد أن أعود إلى جذوري ومسقط رأسي أريد أن أرى أمي وأبى وإخوتي، أريد أن أعرف بلدي أين أهلي وأين يقطنون؟

أذكر صورة أمي وأبى وأخويَّ أذكر الشارع الذى كنت العب فيه أذكر أمي عندما كانت تمسح رأسي وتقص عليَّ قصصها الأحادية كأني أسمعها الآن وهى تحكي عن أبيها الذي كان يعمل حلاقاً وجراحاً في آن واحد وتقول:

إنه كان يعمل حكيماً صحياً يختن الأطفال ذكوراً وإناثاً وتحكي عن عمها الذي كان يجري وراءهم هي ومن معهم من الأطفال وتحكي كثيراً عن أمها عندما تركتها صغيرة فلم تجد الا زوجة أبيها التي تعاملها بقسوة وعنف وتحرمها من أشياء كثيرة ولكن ابيها كان يحبها ويدافع عنها ويمشط شعرها ويّغّسِّلها وتحكي عن أخوالها الذين كانوا يقطنون في الجانب الآخر من النيل وكانت تحكي انها تذهب اليهم بين الحين والآخر فتجد منهم العطف والحنان والود ما لم تجده من زوجة أبيها فظلت هكذا حتى تزوجت أمها وتحكي عن أخيها الذي قتلته زوجة أبيها وتحكي

عن أخيها الأكبر الذي كان يحبها ويذبُّ عنها وأن أخيها هذا كان يُتعبُ أبيه فيسرق الغلال من أبيه من فوق المنزل وكان متزوجاً بأكثر من زوجة مثل أبيه الذى تزوج بسبعة من النساء ولها من الأخوة الكثير لها سبعة من الأخوات وخمسة إخوة وليس لها أشقاء بل كل هؤلاء من أب فقط كما كانت تحكي عن موت أبيها وعن زواجها بأبي وآخر ما أتذكره عندما كانت تطهو لنا الطعام وتعطيّنيّه عندما نجلس حولها ونحن بجوارها ننتظر أن يطهي الطعام فتعطينا "الكبد والقوانص" وأجنحة "الدجاج والبط والأوز" وأذكرها عندما كانت تخبز لنا الخبز

والفطير؛ نعم أذكرها، أذكر ذلك لا ولم أنساه يا رشوانة كما لم أنساك أنت وسأعود قريبا إن شاء الله فقالت رشوانة وقد تأثرت بكلامه وقصته مع أمه ومع أبيه:

سأبحثً لك عن كل ما طلبته؛ أحبك يا أحمد من كل قلبي فقال لها أحمد:

وأنا أحبك يا رشوانة، هيا سأغلق معك يا رشوانة فلدي بعض الأشياء أريد أن أنتهي منها، هيا اتصلى بي دوماً؛ السلام عليكم، فقالت رشوانة:

كما يحلو لك وأغلق كل منهما الهاتف، وجلس أحمد بمفرده يفكر فيما حدث، فدخلت عليه

ميرنا وقطعت عليه تفكيره وخلوته فوجدته كذلك وقد ظهر عليه الهم، فأتت من خلفه ووضعت يدها على رقبته وقالت له:

الفتى الجميل ما أهمه وما أحزنه؟

وفى أي شيء يفكر؟

فقال لها أحمد:

لا شيء، فقالت ميرنا:

هيا لنخرج إلى مكان نجلس فيه بعض الوقت،

فقال أحمد:

لا أحتاج لأن أخرج، بل أحتاج أن أجلس بمفردي الآن دعيني يا حبيبتي، فقالت ميرنا:

لا لن أدعك وحدك أبداً، فأنت حبي وقلبي، هيا احكي لي عن حياتك وعن نفسك أكثر يا أحمد، فقال لها أحمد:

ميرنا أنت جميلة ورائعة وأود أن يكون لي مصنع كهذا في مصر وأن أكون أنا سبب في إسعاد كثير من شعبي المظلوم، فقالت ميرنا:

إن شاء الله فانا أخطط لهذا وأتمنى ذلك، فقال لها أحمد:

حقاً يا ميرنا تودين أن تذهبي إلى بلادنا رغم ما فيها من تخلف وفقر وسجون وكبت للَحريات فقالت ميرنا:

إن بلادكم يا أحمد فيها ما لا تعرفونه أنتم عنها فأفضل مناخ في العالم عندكم، فالأرض كلها صالحة للزراعة وتصلح لأى شيء، فمصر بها يا أحمد البحر الأبيض المتوسط طوله تسعة آلاف وخمسة وتسعين كيلو متر ومساحة مصر مليون متر مربع وبها ثلث آثار العالم مثل "أهرام الجيزة وصقاره وميدوم وأبي الهول ومعبد الكرنك والدير البحري ووادي النترون" وآثارها القديمة الموجودة في "منف" وطيبة" وتتمتع مصر بالعديد من البحيرات منها" بحيرة ناصر والمنزلة وبحيرة البرلس وبحيرة قارون وبحيرة ناصر الصناعية " بالإضافة إلى" نهر النيل " ويا

أحمد مصربها سلاسل جبلية تمتد في "جبال البحر الأحمر وجبال سانت كاترين والصحراء الشرقية والغربية وبها واحات كثيرة مثل واحة سيوة والفرافرة والداخلة والخارجة بالإضافة إلى صحراء سيناء" وبها يا أحمد ثروات طبيعية مثل" الجرانيت والبازلت والذهب والمنجنيز والفوسفات وكذلك الأحجار الكريمة والأحجار الكثيرة مثل الجرانيت والرخام والحجر الجيري والرمل الزجاجي بالإضافة إلى الفحم والبترول والغاز الطبيعي" فيا أحمد مصر التي لا تعرفها بها العديد من الأماكن "الجيولوجية والمحميات الطبيعية" وهذا جعلها واحدة من أكثر دول

العالم في التنوع الجغرافي والأحيائي فبها ثلاثون موقعاً مثل محمية "راس محمد" وجزيرة "تيران" ومحمية "الزرانيق"" وسبخة البردويل" في شًمال "سيناء" التي تعد أحد المفاتيح الرئيسية لهجرة الطيور في العالم من أوربا وآسيا خلال الخريف متجهه إلى أفريقيا كما تقيم بعض الطيور بصفة دائمة، وتم تسجيل أكثر من مائتي وسبعين نوعاً من الطيور في المحمية" كمحمية الغابة المتحجرة" بكثافة من السيقان وجذوع الأًشجار المتحجرة ضمن تكوين جبل الخشب الذي ينتمي الى العصر "الأوليجوسيني" ويتكون من طبقات رملية وحصى وطفلة وخشب

متحجر وهى غنية بدرجة ملحوظة ببقايا جذوع وسيقان الأشجار الضخمة المتحجرة التي تأخذ أشكال قطع صخرية ذات مقاطع أسطوانية تتراوح أبعادها من سنتيمترات إلى عدة أمتار تتجمع مع بعضها على شكل غابة متحجرة مثل "وادي الحيتان" للحفريات في الشمال الغربي لمحمية" وادي الريان" يرجع عمرها إلى أربعين مليون عاماً وهذه الحفريات لهياكل متحجرة لحيتان بدائية وأسنان قرش وأصداف وغيرها كًذلك "محمية بحيرة قارون" وتعتبر من أقدم البحيرات الطبيعية في العالم وهى البقية الباقية من بحيرة " موريس لقديمة" التي اشتهرت عالمياً

بتوافد رواسب حفرية بحرية ونهرية وقاريّة يرجع عمرها إلى حوالي أربعين مليوناً من الاعوام فوادي دجلة بالقاهرة من الأودية الهامة التي تمتد من الشرق إلى الغرب بطول حوالي ثلاثين كيلو متر ويمر بصخور الحجر الجيري الذى ترسب في البيئة البحرية خلال "العصر الأيوسيني" بالصحراء الشرقية يا أحمد تسمعني جيداً؟

فقال لها أحمد:

نعم أسمعك جيداً وعرفت منك معلومات لم أكن أعلمها من قبل فقالت ميرنا:

انا أخذت دكتوراه في هذه الأشياء فهناك معلومات أكثر من ذلك ففي مصر أيضاً محمية سيوة الطبيعية بمطروح الغنية بالمقومات السياحية المتميزة وتتميز أيضاً بوجود أكثر من أربعين نوعاً من النباتات البرية تشمل أنواع طبية ورعوية وًغيرها وكذلك حوالي ثماني وعشرين نوعاً من الحيوانات البرية الثدية ومنها انواع نادرة مهددة بالانقراض منها إثنين وثلاثًين نوعاً من الزواحف وحوالي مائة وأربع وستين نوعاً من الطيور بالإضافًة إلى أعداد كثيرة من اللافقاريات والحشرات واكتشف مؤخراً مًنطقة نيزك جبل كامل بالوادي الجديد التي أعلنت

محمية طبيعية ويا أحمد يا حبيبي تعد مصر من أقدم الحضارات بالعالم التي ظهرت قبل كتابة وتدوين التاريخ حيث استوطنتها الشعوب البدائية منذ القدم تعود إلى العصر الحجري واستخدم فيها الإنسان المصري القديم أدوات من الحجر القديم المنحوت نحتاً بسيطاً وكان يستخدم الأخشاب والأحجار كأسلحة للصيد والدفاع عن نفسه ومصر يا أَحمد من الدول التي لم تتغير معالمها من آلاف السنين وبها "قناة السويس" طولها مائة وثلاثة وتسعون كيلومتراً وتصل بين البحرين الأبيض والأحمر وتعتبر

أسرع ممر بحري بين القارتين، فضحكً أحمد وقال لها:

ما هذا كله وما هذه المعلومات الجميلة التي لا يعرفها الاّ القليل في بلادنا فأنت روعة ومثقفة يا ميرنا، فقالت ميرنا:

يا أحمد إن الذى يحب بلداً أو شخصاً لابد أن يعلم كل شيء عنه فقد علمت عن مصر أكثر مما يعلمه أهلهاً أنفسهم فًقال لها أحمد:

وماذا عن مصنعك والفندق إذا ذهبتي معي إلى مصر؟

فقالت ميرنا:

معنا هنا من يديرون لنا كل ما نريد فلنا رجالنا المخلصون الأوفياء، فقال لها أحمد:

أود أن أذهب إلى مصر ولكن لن أذهب إلا معك فأنت من أحببني في مصر ومن في مصر، فلو كانت مصر كلها مثلك فلن أتركها، فقال لها أحمد:

تقولين حقاً أنك تحبينني؟

فقالت ميرنا:

ألا تعلم أني أحبك ألا تجد ذلك في معاملتي لك وطريقتي معك؟

فقال لها أحمد:

أحببت أن أتأكد من حبك لي ولكن الن تندمي لو ذهبتي معي مصر؟

فقالت ميرنا:

أنا أعلم قيمة مصر أكثر منك يا أحمد:

ستشربين من ماء مصر الذى لوث بالسولار ومياه الصرف، فقالت ميرنا:

أتتكلم حقاً أم أنك تمزح؟

فقال لها أحمد:

أقسم بالله أني لا أمزح بل محقٌ في ما أتكلم بل هناك أعظَم من ذلك، فقالت ميرنا:

أفي مياه النيل أكثر من ذلك؟

فقال أحمد:

نعم فيها أكثر من ذلك فالنساء يغسلن ملابس أطفالهن في مياه النيل ويغسلن فراشهن وآواني الطهي في ماء النيل ويلقي الناس القمامة في المياه ويتبولون بل ويتغوطون في مياه النيل، فقالت ميرنا:

أو يحدث ذلك كله إنه لتخلف وجهل ودمار أن يفعل الإنسان في ماء شرابه وفى ما يدخل جوفه وبطنه هذا، فقال أحمد:

بل يحدث أكثر من ذلك فالناس في بلادي يضعون في طعامهم المبيدات والهرمونات والكيماويات فقالت ميرنا:

إنك تمزح هكذا أليس كذلك؟

فقال أحمد:

أنا لا أمزح والله فعندنا يضعون الأسمدة المسرطنة في كل ما يزرعونه ويضعون مبيدات للزرع فيموت الإنسان بالفشل الكلوي والسرطان وتبقي الحشرات ويعطون الدجاج والبهائم هرمونات ومضادات حيوية فقد استخدموا مادة الD.N.A استخداماً سيئاً للغاية فالدجاجة لم يكتمل عمرها عشرين يوماً وتباع وتذبح وتؤكل فالمِيَّاه قدً ملئت صيداً وسموماً وأملاحاً معدنية بكثافة فمًراكب وسفن تجري في مياه الشرب يتسرب منها العادم ويلقي

الناس الجيف الميتة في نهر النيل ومياه الشراب، فهذه يا ميرنا المياه التي يشرب منها الشعب المصري وهذا هو طعامهم، فمياه وطعام يقتل ويمرض بدلاً من أن ينمي الجسم ويغديه، فيأتي بالأمراض وبالفناء فننفق على المرض والأوبئة أكثر بكثير مما كنا سننفقه على صحة المواطن المصري فقالت ميرنا:

كل ذلك يا أحمد؟

فقال أحمد:

وأكثر من ذلك يا ميرنا فعندنا باع الناس ضمائرهم ربما لاحتياجاتهم وربما لجشعهم فبعض الناس من مسؤولي الجمارك يسمحون

بعبور الأغذية المسرطنة مثل القمح المسرطن "والبولوبيف" الفاسد والمواد المشعة التي تدفن في أراضينا ناهيك عن الرشوة التي استشرت وتفحلت فتخرج رخصة القيادة بدون اختبار لمن يدفع، أما من يقود بمهارة لا تستخرج له هذه الرخصة، وإن استخرت فبعد أيام من الروتين العفن، فتكثر الحوادث والاصابات وبالرشوة يخرج المجرمون من السجون فتجار المخدرات والقتلة وتجار الأسلحة وبائعو البلد والثروات يخرجون بنفوذهم وأموالهم بينما يقبع في السجون طفل فقد أهله أو امرأة قبض عليها على سبيل الخطأ في شقة لا تعرفها أو

صحفي مناضل أو معارض حر، أو شاب أخذ قرضاً لينشئ مشروعاً ينفق منه ويعمل معه بعض الشباب الذين لا يجدون أي فرصَة لديهم فتعسر في الدفع، فهل بعد هذا ما زلت مصرة يا ميرنا على أن تأتى إلى مصر معي؟

فقالت ميرنا:

نعم يا أحمد ألا يوجد ماء معدني؟

سنشرب منه ونستورد طعاماً من بلادنا ليس فيه كيماويات ولا أسمدة ولا مبيدات ولا هرمونات، فقال لها أحمد:

وماذا تفعلين في الرشاوي والفساد المستشري ستجدين روتيناً مملاً وبيروقراطية عفنة فيا

ميرنا إن حكوماتنا تعطي الأرض لبناء قرية سياحية المتر فيها بخمسين جنيهاً ولبناء مصنع يعطون المتر بخمسمائة جنيهاً مع تعقيد في تخليص الأوراق ودخول المياه إلى المصنع والكهرباء بعد إجراءات تعسفية وثقل في الأداء فتدفعين لدخول الكهرباء أموالاً طائلة ولكن ستجدين أرخص شيء هناك هو الإنسان المصري لا قيمة له يعمل اثنتي عشرة ساعة بأدني الرواتب فراتبه لا يسمن ولا يغني من جوع ولا يكفي لأن يقيم بيتاً أو يربي طفلاً أو ينشئ نشئاً فقالت ميرنا:

يكفي هذا اليوم يا أحمد سنكمل غداً إن شاء الله، فهيا لننام فقد اشتقت اليك، ثم ارتمت ميرنا على كتفه فضمها أحمد وأخذها إلى غرفة النوم وأغلق عليهما الباب ليعيشا لحظات سعيدة.

مرت الأيام سراعاً فوضعت رشوانة ابناً لأحمد وعلم أحمد حينها ففرح واستبشر خيراً وبعثت رشوانة صورته على الواتساب فقال لها:

الحمد لله على سلامتك يا أم محمد فقالت له:

سلمك الله، فقال لها أحمد:

ومن معك من النساء؟

فقالت رشوانة:

إن معي بنت عمي وجيراني من الأقارب والأحباب فبعدها وقبلها كان يبعث لها أحمد دائماً بالأموال حتى تنفق منها على نفسها وعلى ابنها ودائماً ما يتحدثان سوياً مع بعضهما باستمرار ولكن أحمد قلبه معلق بين رشوانة زوجته وميرنا عشيقته الناضجة المتفتحة ذات العقل المضيء صاحبة الأموال من مصانع وأموال ولكنه لم يعبأ بحب أو عواطف أو ميول ترهق القلب فتفكيره أصبح عملياً مادياً فيفكر في شهوة سريعة يلامسها ويحسها فأغرقته حب الأموال والثراء لما رأى من يعيشون في القصور وينامون على الحرير ويأكلون في آنية الذهب والفضة وما

يطلبونه يجدونه من غِذاء وشراب وملبس مستورد، لكن أحمد كل ما يهمه هو أن يكسب حب ميرنا وقلبها وعدم استغنائها عنه ولكنه قد حدث ذلك بالفعل فقد حصل له ما يريد فقد أحبته ميرنا حباً فوق كل حب حتى أنها أصبحت لا تستغني عنه أو تفرط فيه ساعة من ليل أو نهار فكلما غاب عنها ذهبت إليه وسألت عنه وتنتظر وقت انتهائها من عملها حتى يذهبا معاً إلى أماكن شتي في إيطاليا وبعدها يذهبا مع بعضهما إلى المنزل فيعيشان ألّذ لحظات ولا سيما وأن ميرنا كانت تمتعه في الفراش بشتى أنواع الأوضاع مما جعل أحمد يتلهف إلى لقائها

والمكوث معها عدة ساعات فيشتاق اليها كما تشتاق اليه، فالمرأة الغربية مختلفة عن نسائنا فعندهم المرأة هي التي تبدأ بممارسة العلاقة وهى من تحفز على ذلك فتراها على الفراش كالفراشة تتنقل على جسد الرجل فتنهل من كل رحيقه وتقطف منه كل الأزهار فتخرج للرجل عسلاً من شفتيها ومن بين حناياها وتراها تحلق كالعصفور فتخرج ألذ الكلمات وأحلي العبارات بل إن وجهها الصافي كالبحر وعينيها كسماء الدنيا الصافية وضحكتها كمنظر شلال تجعل من رجل شرقي "روميو" في حبه "لجولييت" أما المرأة عندنا أما نساء الشرق فأدب جم وحياء

قبيح وثلج تتلحف به فتراها تمنع نفسها عن زوجها وتنشغل بأطفالها عن زوجها، كأنها تزوجت للطعام والشراب والملبس والأطفال والرجل ما هو رجل استعبدته واستأجرته، فهي لا تبدأ ابداً بأي علاقة حتى لو لم يبدأ الرجل لأكثر من شهر، فهي تنتظر هي الرجل أن يطلب وأن يبدأ فالأدب حتى في الأوضاع فلا تعجب في هذا الزمن حينما تري رجلاً يبحث عن أنثى أخري، بل تجد المرأة عندنا تقوم بعمل الرجل من أمر ونهي فتتخيل نفسها رجلاً لها الشارب مثل الرجل، فتناست أنها امرأة فتراها تلبس إذا خرجت أجمل ما لديها من ثياب وتضع علي

وجهها "المكياج" والعطور على جسمها وتتزين بكل ما عندها من زينة ولكنها في بيتها تمكث بالليالي لا تغتسل ولا تخلع ما عليها من ثياب وقد فاحت رائحة ثيابها وتنام بنفس الملبس ولا يعنيها أبداً زوجها وربما تركت جمالها ومظهرها طالما هي في المنزل، وهذا لا ينطبق على كل نسائنا، فمنهن النظيفة الطاهرة المتعلمة والمتفهمة لكل ما يخص المنزل والأسرة، ولكن الأغلب برود في العلاقة وخيبة أمَل للرجل الشرقي فهو يعمل ويكد ولا يهمه مطعم ولا مشرب بقدر ما يهمه من زوجته إذا نظر إليها سرته وإذا جاء قابلته بكل بسمة، فنسائنا شاهدوا المسلسلات

والأفلام التي فيها المرأة تصرخ للرجل ويعلوا صوتها عليه بل ربما تضربه فشبت المرأة من مهدها على ذلك وربما وجدت أمها تفعل مع أبيها هذا من علوٍ للصوت أو سبٍ للزوج فتكبر البنت على ذلك فإذا تزوجت سّبت زوجها وربما فعلت كأمها فيؤدي ذلك للطلاق الذى أصبح على الألسنة متاحاً، فكيف تعاشر زوجة خشنة في كل شيء في كلامها ونقاشها وهزلها حتي في الفراش مع الزوج؟

فهي تقدس النوم وتعبد الطعام والشراب واللباس فتجد امرأة تفعل طعاماً وشراباً يكفي أهل "الصفة" جميعاً فيضيع عمرها بين إعداد

الطعام والشراب وتربية الأولاد والحمل الكثير بلا أدني مسؤولية فإذا تزوج الرجل بعد عناء وتعب وكد ومثابرة فيدخل بها وبعد أيام يجدها وقد بدأت في حملها فآلام ووجع وذهاب وإياب للأطباء رجالاً نساء مسلمين ومسلمات الأحياء منهم والأموات فلا يهنأ بزواج أو ما كان يصبو إليه ويرجوه فتتكدر المعيشة وتتناغم المشاكل بين عمليات قيصرية وولادة طبيعية وأطباء ودواء وسهر بجوار الطفل ورائحة البول تملأ الغرف فلا يكفيه "البامبرز" بل يتبول الطفل في كل مكان يجده ويأتي بعد الطفل طفل وطفل ثم

طفل وطفل، ثم أوجاع وآهات وصراخ وبكاء، فلا يعرف
الرجل رأسه من قدميه إلا عندما ينادي المناد: " لا إلاه إلا الله محمد رسول الله" فلان بن فلان توفاه الله، فوقتها يعرف رأسه من قدميه.

فهناك فرق شاسع بين فتاة في الغرب وفتاة في الشرق فأحمد وجد الفرق رغم أنه لم يتزوج فترة كبيرة إلا إنه أعجب بميرنا بمنطقها الحلو وعذابة صوتها ورقصها له وتوقيرها له وبذل كل نفيس وغالٍ لإرضائه فقد اشترت له سيارة وملابس أنيقة كثيرة وطلبت منه الزواج فقبل أحمد ووافق على الزواج وشجعه على ذلك

حسن رغم أن أخته رشوانة زوجة أحمد لكنه فهم ما يربوا إليه أحمد من مصلحة عامة ومنفع مشترك فحسن قد تزوج سريانا منذ عدة أيام ووطد الزواج علاقتهما ببعض فقدمت ميرنا أحمد لمن في المصنع على أنه مدير المصنع فرحب به الجميع بلا حقد أو حسد أو غمز أو لمز أو ضيق بل رأى أحمد الفرحة على وجوههم وباركوا له كلهم رجلاً؛ رجلاً فتكلم معهم أحمد بعبارات كلها شكرٍ لهم وبكلام جعلهم يهتفون له بلا تصفيق أو مداهنة كما عندنا، فالتصفيق عندنا نحن لأصحاب الشارات والنجوم والوزراء والرؤساء فيُشترى هنا بعض المصفقين

وأصحاب الهتافات ليفتعلوا ذلك أما هؤلاء فقدموا له ترحيبهم وحبهم له بهدية من كل واحد منهم فرأى أحمد الحب في عيونهم والتقدير والإخلاص مما دفعه ليلح على ميرنا بأن يسافرا إلى مصر عما قريب ليشيدوّا هذا المصنع هناك فقالت له ميرنا:

أو لست تريد مصنعاً هناك سأفعل لك ذلك وأنت هنا لتعرف مقدرتي وما أملكه من نفوذ ومعارف وعلاقات في كل مكان وتذهب أنت إليه بلا تعب فينام أحمد من ليلته ويصبح على رؤيا ذكرته بأبيه عندما حمله وقد اصابته الحمى في صغره بين ذراعيه وعلى كتفه والمطرب الجميل

"هاني شاكر" يغني أغنيته الرائعة "يا بلادي يا بلاد الثورة العربية يا مصر يا أم الحرية"، فكثيراً ما كانت تتردد هذه الأغنية في أذني أحمد وفى عقله وتذكره بأبيه هذا الرجل الحنون الذي بالأمس البعيد كان يدخل على أحمد في نومه فيقبله على جبينه وعندما يستيقظ أحمد في الصباح يجده قد اشترى له "الفلافل والمخلل" ويأخذه معه إلى الحقل فيجلس أحمد بجانب الجسر الترابي المرتفع بجانب اشجار الفول الأخضر فيأتي له بالفول الأخضر ليأكله ويسلقه على النار بعدما يطهون الشاي اللذيذ فعمل الشاي على النار أي نار الفحم أو جذور

الشجر له نكهة فريدة لم ينساها أحمد طوال عمره ولا ينسى أحمد عندما تشاجر مع سليمان ابن الجار المجاور لهم في الحقل وأحمد أمسك بعود من الحطب فضربه أحمد ثم أسرع أبو أحمد فنهره وابعده عنه ولكنه لم ينسى له ذلك فبعد أيام أمسك به وهو يسرق بعض ثمار الخيار في جلبابه فضربه ضرباً مبرحاً وذهب به إلى الشرطة وهو متلبس بعدما ضربه وفضحه فجاء أهل سليمان هذًا وتوسلوا لمعوض أبو أحمد أن يتركه على أن لا يقترب من الحقل مرة أخرى وتذكر أحمد أيضاً عندما كان يذهب إلى الكتُّاب فينتظره عند رجوعه فيسأله ماذا

حفظت اليوم من القرآن فيتلوا عليه أحمد ما أخذه من الشيخ فيعطيه خمسون قرشاً ولا ينسى أحمد عندما ضربه هذا الولد الذي يكبر عنه بعامين فقال لأبيه عن هذا الولد فذهب أبوه إلى هذا الولد وأخذ يسبه ويحذره إن فعل ذلك سيضربه ولما سأله عن اسمه واسم أبيه فعلم بصلة قرابته لهم فقال لأحمد هذا ابن عمك فصاحبا بعضكما وكونا أحباباً، فأنتما أقارب وأبناء عمومة، ولا ينسى أحمد هذا فكثيراً ما يرى في منامه رؤية أمه وأبيه وتتردد في أذنيه بعض الكلمات التي كانت ترددها أمه، ويتذكر أحمد ما قالته ميرنا أنها ستشيّد له هذا

المصنع في مصر الأيام المقبلة فتأكد من حبها له وأنها متمسكة به فأصر أحمد أن يطلب منها بعض المال على سبيل القرض لعمل مشروع خاص بهما فقال لها:

يا ميرنا أنا أريد عمل مشروع خاص بنا وأريد بعض المال، فلم تسأل ميرنا عن التفاصيل المملة فالتفاصيل لا تعنيها أما فنحن فنحب التفاهات والهوامش والكلام الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فقالت له:

وكم تريد يا أحمد من المال حتى تقيم هذا المشروع؟

فقال لها احمد:

عشرة ملايين فقالت له ميرنا:

إنه ليس بالكثير فمتي

تريد ذلك؟

فقال لها أحمد:

في أقرب وقت ممكن ولكن كيف ذلك؟

فقالت ميرنا:

أنا سأعطيك إياه، فقال لها أحمد:

وكيف أسدده يا ميرنا؟

فقالت له وهي تبتسم:

لا عليك، هيا أبدأ ثم سدد كما تشاء، فمالنا واحد،

فغدا إن شاء الله سيكون عندك هذا المبلغ، فاتصلت رشوانة بأحمد وهو مع ميرنا على الفراش فقالت له ميرنا:

من هذه التي تكلمك على الهاتف فقال لها أحمد:

إنها أختي ثم كلم رشوانة بكلام لا تفهمه ميرنا حتى لا تغضب منه هذه أو تلك فأحمد لم يصارح رشوانة أو ميرنا بالزواج منهما معاً حتى الآن وأكد أحمد على حسن بعدم البوح لأي واحدة منهما وأن رشوانة هي كل شيء له وكان أحمد يطلع حسن على كل شيء، فأكدت رشوانة على أحمد بأن الضابط أحمد قد

توصل إلى أهل أحمد وعثر على شيء وقال لها إن وصل أحمد إلى مصر فأعلميني حتى آخذه إلى أهله ولكى أضبط له أوراقه الأولى ليعيش باسمه الأول، فمن السهل تغيير الورق ما دامت شهادة الميلاد الأولي موجودة.

مارس أحمد مع ميرنا كعادته علاقته الحميمية فاستمتع بوجهها الحسن الجذاب وما بها من أنوثة وجمال، ومر الليل كالبرق بينهما وفى النهار أتت اليه ميرنا بالمال فأخذه أحمد وذهب به إلى المنزل وفكر أين يضع هذه الأموال أيضعها في سويسرا أم في مصر أم هنا في إيطاليا؟

وبعد تفكير قاتل وحساب دقيق لكل خطوة قرر أن يضعها هنا في إيطاليا فهو حالياً يملك إقامة إيطالية وزوجة إيطالية ومديراً لمصنع هنا في إيطاليا أي يدخل ويخرج كما يشاء، فذهب أحمد لأحد البنوك ووضع فيها المال ولم يبقى إلا القليل، فأتت ميرنا إليه في المنزل وابتسمت ابتسامتها الجميلة وقالت

لأحمد:

ماذا فعلت فقال لها:

كل شيء على ما يرام لقد بعثتها وسوف أذهب إلى مصر في أي وقت فقالت ميرنا:

لن نذهب إلى مصر أولاً يا أحمد، فقال أحمد:

وإلى أين نذهب يا ميرنا؟

فقالت ميرنا:

يا أحمد منذ أن أسلمت وأنا أود الذهاب إلى الكعبة لأري الأماكن المقدسة الإسلامية ولنحج معاً فأنا مشتاقة إلى ذلك أشد الاشتياق، فوقعت هذه الكلمات في قلب أحمد فحركت معها السنين والأيام فهو يشتاق إلى التوبة وإلى الرجوع إلى الله، فقد فعل كل شيء يغضب الله تقريباً، وقد عاشر الكثير من النساء والآن معه زوجتان عظيمتان كريمتان فقال لها:

إن شاء الله في أقرب وقت فباقي على الحج شهر من الآن فنستعد ونشد الرحال إلى هناك إلى

الرحاب الطاهرة فسمعهما حسن وسريانا فقد كانا بالقرب منهما، فقالت سريانا ونحن سنذهب معكما إلى هناك فأنا أيضاً أسلمت فقد رأينا في أخلاقكم الإسلام فأنت وأحمد نعم الوفاء والصدق والأمانة وحسن المعاملة والمعاشرة ولين الجانب والسمت الجميل وما أنتم عليه من كرم وحب وتسامح ونبل فقال أحمد:

بل انتم من علمتمونا هذا فأنتم تطبقون تعاليم الإسلام في بلادكم مع أنكم كنتم قبل ذلك على دين غير الإسلام، فقالت ميرنا:

لا تبالغ يا أحمد فلديكم خير كتاب وخير رسول فكتاب الله بين أيديكم منذ قرون فلو وعيتم وتدبرتم آياته لكنتم خير بشر، فقال أحمد:

يا ميرنا لقد انشغل خلفنا بما حققه له أسلافه فشربوا الخمر وانشغلوا بالعزف أي الموسيقى والغناء وملاعبة الغلمان وبالرقص والزنا والملك ومن له الحق في الحكم فتصارعوا من أجل حب الذات والابن لا لمصلحة البلاد والعالم كله، بل طغى عليهم حب السلطة والتملك أما لو كان التفكير في المصلحة العامة وإرضاء الله ونشر الإسلام سواء كان بهذا أو ذلك لكان النفع

والخير الأكبر للناس كافة، فتبادل الجميع الحوار فيما بينهم لساعة من النقاش.

تفرق الجميع وكُلٌّ خلا بزوجته ليناقش كل واحد منهم زوجته في أمور الدين، ثم أخذ أحمد وميرنا يقرئا القرآن معاً وحسن وسريانا كذلك، وقد ارتدت ميرنا الحجاب والزي الإسلامي وصليا معاً معظم الصلوات إما في العمل أو في المنزل وعلمها أحمد قراءة القرآن كما تعلَّمه في صغره فأحمد يحفظ أكثر من عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وقد تعلم أحكام التجويد وأساسيات الدين.

بدأت ميرنا تتغير من فتاة غربية ايطالية ذات المظهر المتبرج العاري الى فتاة تلبس لباساً فضفاضاً طويلاً لا يشفو ولا يجسم ولا يلفت النظر ولا تضع المكياج على وجهها وتغير سمتها فصارت هادئة الطباع رزينة السمت، فرُسم الإسلام على وجهها فأصبحت تصلي وتصوم وتفعل الخير أفضل ممن ولدوا على الإسلام فعلم الناس بإسلامها وإسلام أمها فاستغربوا في بادئ الأمر من شكل زيّها ولم يطل استغرابهم كما عندنا فيتلاكون في أفواههم سير الناس خيرهم وشرهم فالناس في بلادنا تتكلم فقط بلا عمل بل كلام فهذا تزوج وها طلق وهذه حبلت

وهذا افتقر وذاك اغتنى وهذه زنت وهذا من عائلة كذا وذاك ليس من عائلة وهذا له أصل وذاك ليس له أصل أما هؤلاء القوم فيشغلهم العمل فقط لا فرق عندهم الا بالعمل وإثبات الذات من علم وعمل ونهضة وفن ورقي، فتأثر أحمد ايضاً بإسلام ميرنا فبدأ يتغير ويتحول من شخص شهواني إلى شخص آخر يصلي كل صلاة في وقتها وحرص على الجماعة وقراءة القرآن والكتب مثل كتب الفقه والحديث والسيرة النبوية وأصول الفقه وقد عاد ليكتب الشعر والرواية وأخذ يعلم ميرنا قواعد الإسلام وأصوله والحرام والحلال وسيرة النبي صلي الله

عليه وسلم والعقيدة الصحيحة في دين الإسلام وما كان عليه نبي الإسلام صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فامتلأ المنزل أمنا وأمانا وسلماً وسلاماً وصاروا جميعاً عبّاداً زهاداً ينفقون كمن لا يخشى الفقر، وقدً صارح أحمد ميرنا بزواجه من رشوانةً فقال لها:

يا ميرنا أليس شرع الإسلام أباح للرجل أن يتزوج بمثنى وثلاث ورباع؟

فقالت ميرنا:

نعم لقد أباح الإسلام الزواج للرجل بأكثر من واحدة ولكن لم يوجب ذلك فهذا علي سبيل الإباحة لا الوجوب، فقال أحمد:

نعم هو كذلك ولكن هل تغضبين لو تزوجت بأخرى معك؟

فقالت ميرنا:

طالما لا يخالف الشرع فلا ضير في ذلك ولكن يا أحمد هل تحب غيري حقاً أو تود الزواج بأخرى؟

فقال لها أحمد:

يا ميرنا الإسلام حثنا على الصدق ولو كان مراً يا ميرنا أنا متزوج في مصر من فتاة تدعى رشوانة والتي قلت لك من قبل أنها أختي، فقلت ميرنا: لا عليك يا أحمد فأنا زوجتك وهى زوجتك ولكن ما قصتها؟

فقال لها أحمد:

سأقص عليك قصتها:

لقد تعرفت عليها في ظروف غامضة فلقد هربت من السجن أنا وحسن فكانت رشوانة هي من تتودد إلي وتنسيني ما حدث في الماضي من فتاة كنت أحبها وقص لها ما حدث من ماضيه

وسيرته كلها إلى يومه هذا، ثم عرفها أن رشوانة هي شقيقة حسن زوج سريانا، فقالت ميرنا:

أعرف أنها زوجتك وليست أختك فلقد أمسكت هاتفك في مرة كنت تكلمها وأمسكت هاتفك وقلبت ما فيه حتى وجدت محادثة لك معها وهى تقول لك أحبك وتحدثك عن ابنك وابنها الذي انجبته منك، فقال أحمد:

أتعرفين وتكتمي ذلك عجباً لك يا ميرنا يا لكِ من امرأة ناضجة ذكية، فقالت ميرنا:

لا عليك يا حبيبي ما دمت لن تظلمنا، المهم عدم مضايقتها هي لو عرفت بزواجنا، فقال لها أحمد:

لا أعرف فنحن في بلادنا نسائنا ورثوا الإسلام فأكثرهن لا يعرفن الشرع فتفعمُهنَّ الغيرة وحب امتلاك الزوج كأنه قطعة أساس فالمرأة عندنا لا تفعل أي شيء سوى الطعام والشراب واللباس والكلام الكثير، فلا اهتمام لها بحفظ قرآن أو قراءته أو تعلم العلم بشتى أنواعه المختلفة، فقالت ميرنا:

كفي ياحبيبي وهيا لنصلي القيام قبل أن ننام، فقال لها أحمد:

هيا نصلي حتى ننام بعده وكي نصلي الفجر، فتوضأ أحمد وميرنا ثم صليا سوياً ثم ناما.

جرت الأيام تترا ليأتي موعد الحج فتجهز أحمد وميرنا ليحجا ويتركا حسن وسريانا ليديرا المصنع والفندق ويأتي ميعاد السفر فيركبا الطائرة المسافرة إلى السعودية وتخفق قلوبهما بالشوق واللهفة لرؤية الأماكن المقدسة وتقشعر جلودهما من كثرة الشوق إلى الحج وما فيه من عبر وآيات وبعد ساعات وصلا إلى الأرض المقدسة وانبهرت ميرنا لما رأت "السعودية" وما فيها من عمارة حديثة وتمدن ورقي في البناء والآلات والخدمات فنزلا فندقاً في جدة لِيُحرما فيها ثم بشعائر الحج بدئاً من الإحرام ثم التلفظ بلبيك حجة، وَلبيك اللهم لبيك، لبيك

لا شريك لك لبيك إًن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك ثم الطواف بالبيت الحرام ومع كل شوط يستلم الحجر الأسود أو يقبله أو يشير اليه، فلما جاءت ميرنا الى الكعبة ورأت هذا المنظر الأخاذ للقلوب المبكي للعيون فلم يسعها إلا البكاء هي وأحمد حيث رؤية الحجيج وهم يطوفون بالبيت العتيق، فهذا الجو الذي يشبه يوم القيامة وأصوات الحجاج التي تهتف وتبتهل إلى خالقها فكل واحد لا يفكر في أي شيء أو أي أحد، فقالت في نفسها وهى تبكي يا ليَّ من محرومة، فقد حرمت ذلك منذ أعوام فقد ضيعت أغلب عمري دون أن استمتع بهذا

الجمال فكأني فوق السماء أطير بجناحين كبيرين أحلق بهما فوق السماء وكل هؤلاء البشر ملائكة يطيرون من حولي فأنا لست على الأرض.

انتهت ميرنا من الطواف فقد طافت سبعة أشواط ولم تحس بالتعب رغم الزحام وكثرة الناس الا إنها رأت عظمة الله في هذه النسك ورأت معنى الإسلام وتجلى معانيه في هذه العبادة ثم أخذها أحمد وقد تأثرت تأثيراً كبيراً بما رأته وسمعته من رحمات ونفحات وروحانيات تفعم المكان فقالت ميرنا لأحمد:

أود أن أرى مكان النبي "صلي الله عليه وسلم" وبيوته ومسجده وقبره، فأني أشتاق إلى ذلك فقال لها احمد:

بعدما ننتهي من المناسك فالنسك الثاني هو السعي بين الصفا والمروة ثم باقي المناسك وبعدما ننتهي من كل المناسك نذهب حيث تشائين.

انتقلا من نسك إلى نسك فوقوف "بعرفات" "ومنىً"، "ومزدلفة" وشرب من ماء" زمزم" وبين ذلك كله بكت ميرنا على ما فاتها من صلوات ونسك وعبادة، فما أجمل من هذه الفريضة الرائعة فهو مؤتمر إسلامي عالمي يجتمع فيه

الناس من كل بلد ومن أنحاء المعمورة فيأتي من كل فج عميق ليشهدوا منافع وليذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فبين ذكر الله والتلبية والتهليل تتأثر ميرنا وأحمد طوال هذا كله فما أحلى وأجمل وأروع من هذه الرحلة المباركة الّشّيقة الروحانية فهي أجمل من كل بقاع الأرض فرحلة إلى "الكاريّبي" وجزر "هاواي" "واستنبول" حتى إلى "القدس"، وما حوله من أرض مقدسة لا تقارن بهذه الرحلة ولا يوجد على ظهر الأرض أي مكان يوازي أو يفوق قدسية هذه الأرض فالصلاة في المسجد الحرام تعادل مائة الف صلاة فيما

سواه من المساجد فقد حباها الله كل الخيرات فهذه البلاد وتلك الأرض بها قبر النبي " صلي الله عليه وسلم" وبها مقام ابراهيم عليه السلام ودفن بها جُل الصحابة والتابعين من خيرة هذه الأمة الميمونة المباركة وبها المسجد النبوي وبها موضع أقدام خير المرسلين وخير البشر جميعاً وبها جبل بدر وجبل أحد الذى يحبهما الله ورسوله ويوجد في تلك البقاع الطاهرة غار حراء الذى كان يتعبد به الرسول " صلي الله عليه وسلم" كما يوجد أيضاً غار ثور الذى اختبئ به النبي "صلي الله عليه وسلم" هو وأبو بكر الصديق رضوًان الله عليه أخذاً بالأسباب من

الكفار وغدرهم عندما هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة فهي أيضاً الأرض التي نزل فيها الوحي على سيد الخلق بخير كتاب أنزل وهو القرآن الكريم، فلما رأت ذلك كله ميرنا وزارت قبر النبي" صلي الله عليه وسلم" وبيوته ومقامه الشريف وزارت تلك المعالم كلها من غار ثور وحراء وجبل أحد وبدر، فقالت لأحمد ما هذا يا أحمد انتم تمتلكون أفضل الأماكن بالعالم فقد ذهبت الى أجمل الجزر وأروع المتاحف ورأيت معظم آثار العالم وطفت العالم كله من أقصى إلى أقصى ومن الشرق إلى الغرب فما وجدت أبهى ولا أعظم ولا أجمل من

هذه البقاع وهذه المقدسات الإسلامية، يا أحمد سآتي كل عام إلى هنا وسأحج كل عام إن شاء الله، فيال لها أحمد:

اجعليها كل فترة، فهناك من يستحق هذه الأموال، فقالت ميرنا:

ماذا تقول؟

أتمانع من أن نحج كل عام؟

فقال أحمد:

لا أمانع فسأشرح لك يا حبيبتي، فهناك في بلاد الشرق الأقصى وأفريقيا، وفى مصر وفلسطين، والصومال ونيجريا وغيرها من البلاد من يستحق هذه الأموال فمنهم من لا يجد مكاناً

يأويه أو لحافاً يغطيه من برد الشتاء في المخيمات وغيرها ومنهم من لا يستطيع الزواج ومنهم الذى عليه دين ومنهم المريض وذا الحاجة فلو كل عام أخرجنا نحن وغيرنا ما كنا سنخرجه في الحج لأسعدنا غيرنا ولسعدنا بسعادتهم أيضاً فلو زوجنا فتاة أو شاب واشترينا لهما شقة أو جهزناهم أو أخرجنا غريماً من سجنه لكان عند الله عظيماً، فقد ورد عن النبي "صلي الله عليه وسلم" أنه قَّال "من مشى في حاجة أخيه كمن اعتكف في مسجدي هذا أربعون يوماً قُضيت أم لم تقضى" فقالت له ميرنا:

معك حق فالمعاملة في ميزان الإسلام تبلغ درجة الَّصائم القائم، فقال أحمد:

نعم فإن رسول الله ﷺ قال:

" إن المرء ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم لا يفطر والقائم لا يفتر" فقالت ميرنا:

ويقول أيضاً يا أحمد " إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً" فقال أحمد:

لقد جاء الإسلام ليتمم محاسن الأخلاق ومكارمها، فقالت ميرنا:

نعم فإن رسَول الله "صلي الله علبه وسلم" :

قال:

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقال:
" الدين المعاملة"، فقال لها أحمد:
لقد شرع الله العبادات لتعلمنا الأخلاق فقد روي عنه" ﷺ" أن امرأتان جاءتا تشتكيا للنبي "ﷺ"، فقال لهما النبي صلي الله عليه وسلم:
قيئا فقائتا دماً وقيحاً وصديداً، فقال النبي ﷺ:
إنهما صامتا عما أحل الله وأَفطرتا عما حرمً الله، فقالت ميرنا:
وأيضاً ورد عن النبي ﷺ أنه قال:
"رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا

السهر"، أي أن العبادة بدون أخلاق لا تساوي أي شيء فالعبادة تُرُوض المسلم على الأخلاق فالحج مؤتمر إسلامي يجتمع فيه العالم ليناقشوا قضاياهم فكلهم بزيٍّ واحد وشعائر واحدة وربًا واحدًا ونبي واحد وقبلة واحدة لا فرق بين فقير ولا غنى ولا أسود ولا أبيض فالكل سواسية فمن حج فلم يرفث ولم يفسق ولم يصخب رجع كيوم ولدته أمه كما قال النبي "صلي الله عليه وسلم" فمعنى هذا أن الحج بدون أخلاق لا يُقبل ولا قيمة له وأن الحج يعلّم الحب والمساواة وعدم الرفث والصخب ومن

باب أولي فكل إيذاء باليد أو اللسان غير مرغوب به بل حرام شرعاً فإن النبي ﷺ قال:

"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، فقال أحمد: وكذلك فإن الصلاة تعّلم الأخلاق والزكاة والصوم والإنفاق في سبيل الله، فقد جعل الله أسمى معاني الإيمان في الأخلاق فقال سبحانه " يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس لاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"

وبعد هذا الكلام الرائع ينهى أحمد وميرنا رحلتهما المقدسة ويرجعا وقد أديا فريضة الحج وقد أفُعمت قلوبهما إيماناً وحباً لشعائر الله ودين الله.

رجع أحمد وميرنا إلى إيطاليا ليقصا على كل الناس هناك ماحدث لهما وما رأوه وما لمسوه بقلوبهما وأرواحهما فقصت ميرنا على أمها ما حدث فتحسرت سريانا على عدم ذهابها معهما إلى هناك فقالت لميرنا:

ليتني ذهبت معكما أنا وحسن فما أتعسنا وما أخيبنا سوف نذهب قريباً فقال حسن:

سنذهب إن شاء الله لنعتمر قريباً، فوضعت سريانا يدها على عينيها ومسحت دموعها، وقالت لميرنا عما تبكين يا أمي فقالت وهى تبكى ودموعها كالسيل لتأثرها بما سمعت من أخبار عن الحج وما فيه. طرق الباب الخادم ثم قال لهم:

هيا إلى الطعام، فبادر حسن إلى الطعام قائلاً لهم:

هيا إلى الطعام فمنذ زمن بعيد لم نجلس سوياً على مائدة معاً، فضحك أحمد وضحكت ميرنا وسريانا ثم قالت ميرنا:

هيا وجلس الجميع على المائدة.

الفصل الخامس

وبعد لقيمات اتصلت رشوانة بأحمد وقالت له: مبارك على الزواج يا أحمد، فنظر أحمد إلى ميرنا وحسن وقال من الذي قال لك أنى ذهبت إلى الحج وأني تزوجت؟

أهو حسن أخيك فلا أحد غيره يخبرك؟

فقالت رشوانة:

نعم لقد أخبرني عن كل شيء وأنك تغيرت وتفعل من أجلنا هذا كله، فنظرت ميرنا إلى أحمد وهو يتحدث فهي تفهم كلامه وعن ماذا يتحدث فقام أحمد من على الطعام وأكمل

حديثه مع رشوانة وهو ينظر إلى الجميع فقال لها سنأتي مصر قريباً إن شاء الله فقالت رشوانة:

يا أحمد إن الضابط يسأل عليك دائماً وينتظر قدومك فَهو يُعد لك من الأخبار الكثير ومحمد ابنك يسلم عليك ويشتاق اليك ولرؤيتك وهذه الفيديوهات قد سجلتها له وهو يحبو ويلعب سأبعثها لك الآن انتظر ها قد وصلت لك شاهدها واتصل ثانية فأغلق أحمد معها وفتح الفيديوهات وأخذ يشاهد وهو جالس على الكرسي ما يفعله ابنه محمد وهو يحبو، فجاءت

ميرنا بجانبه ووضعت يدها على كتفه وجلست بجانبه فنظر إليها أحمد وقال لها:

هذا ابني، فتبسمت ميرنا وهى تنظر في عينيه وقالت:

إنه يشبهك وهو ولد جميل، ثم وضعت يدها على بطنها وقالت يا أحمد سيأتي لنا ولد مثله عما قريب فنظر إليها أحمد وقال:

أتقولين الصدق؟

فقالت ميرنا:

نعم فلم أخبرك إلا عندما تأكدت من ذلك، فأغلق أحمد الهاتف وأخذ يقبلها فرحاً بها وأخذها ودخل بها إلى غرفة نومهما وبعد ليلٍ زين

بالصلاة وقراءة القرآن فأتى الصباح على الجميع فذهب أحمد وميرنا إلى المصنع وتحدث أحمد وميرنا مع من في المصنع عن رحلة الحج وما لاقوه من متعٍ عظيمة ورائعة وتحدثت ميرنا معهم عن الإسلام وأنه دين الرحمة والحب التسامح وقد كفل حرية العقيدة فلا إكراه في الدين كما قال الله سبحانه وتعالى، فنطق أحد الناس وقال إن الإسلام ظلم المرأة فجعلها نصف الرجل وكبت حريتها، فأجابه أحمد قائلاً بكل طمأنينة:

يا هذا إن الإسلام لم يظلم المرأة فالإسلام كرم المرأة بنتاً وأماً وأختاً وزوجةً،

فقال آخر:

كيف ذلك؟

فقال أحمد:

المرأة في الإسلام كالجوهرة المَكنونةً نحافظ عليها من العبث بها أو أن يلمسها أجنبي فالمرأة قبل الإسلام كانت في العرب كالمتاع تورث كأي قطعة أثاث لا وزن لها ولا قيمة لها، وليس لها شهادة كما في فرنسا الآن ففرنسا بلد الحريات التي ابتكرت القوانين هي نفس البلد التي لا تعتد بشهادة المرأة ولا ترث المرأة هناك إلى الآن بل إن فرنسا أنفقت على الحرب العالمية الثانية من عمل النساء في البغاء، وأما العرب في الجاهلية

فكانوا يقتلون البنات في المهد أحياء ويجتمع الجمع من الرجال على امرأة يتناوبون عليها وبعد أن تنجب المولود تسميه باسم أحدهم وفى اليهود يجتنبون المرأة إذا حاضت وإذا نفثت ويقولون عنها أنها نجسة وكل من يقربها فهو نجس وكل ما تلمسه فهو نجس وفي الإغريق قال سقراط:

"إن المرأة هي مصدر و منشأ الأزمات والانهيار في العالم والمرأة تشبه الشجرة المسمومة من ظاهرها جميل وإن أكلت منها العصافير تموت"، وفى اليونان وضعوا القفل على أفواه النساء فلا تتكلم الا بإذن وفى الصين كانت تستخدم المرأة

في العبودية حتى وصل عدد الجواري في القرن التاسع إلي ما يزيد على الثلاثة ملايين جارية، وفى الهند كانت تورث ضمن المتاع ولزوجها الحق ان يدفنها حية دون محاسبة وغيرهم من الفراعنة والفرس فكلهم عاملوا المرأة كأنها ليست آدمية فها هي المرأة قديماً وحديثاً أما المرأة في الإسلام فقد جعل لها الإسلام نصف شهادة الرجل لأن طبيعتها الفسيولوجية ليست كطبيعة الرجل فهي تنسى وتضعف ولها جسد مختلف فهي تتغير فحيضها ونفاسها وحملها ورضاعتها لأولادها وسهرها ومعانتها في تربية أولادها كذلك يجعلها نصف الرجل في الميراث

فإن كل الناس حرموا المرأة من الميراث من قبل، أما الإسلام جعل لها النصيب المعلوم في الميراث فهي ترث من أبيها وجدها وأمها وتأكل وتشرب في بيت زوجها وربما ورثت زوجها، فهي ترث النصف في أكثر من أربع حالات وترث الثلث في حالات وترث الثلثي في حالات وترث التركة كلها في حالات، فميراث المرأة يتغير بتغير موقفها من الميراث مثل الرجل، فالرجل قد لا يرث في حالات وقد يرث ربع أو ثلث أو نصف المرأة في حالات، فليس هناك أي عاقل ومنصف يتكلم في الميراث في الإسلام، لأنه قسم بإنصاف وعدل والذي قسمه هو رب العالمين وكذلك فإن المرأة

خرجت مع نبي الإسلام في بيعة العقبة الأولى والثانية وكانت المرأة تمرضّ وتداوي الجرحى في الغزوات وربما دافعت وقاتلت كالسيدة نسيبة التي دافعت عن النبي "صلي الله عليه وسلم" في غزوة أُحد عندما انهال عليه الكفار ليقتلوه فقالت نسيبه:

" نحرى دون نحرك ودمى دون دمك يا رسول الله" وكذلك عمة الرسول ﷺ في غزوة الخندق لما هاجم أحد اليهود خيمة النساء فصرعته عمة النبي بعمود خيمتها فظن هؤلاء أن في الخيمة عشرات الرجال الأشداء ففروا بعيداً وشاركت السيدة عائشة في موقعة الجمل

ووقوفها بينهم موقف الصلح وفى صلح الحديبية عندما امتنع الناس عن حلق رؤوسهم وعن قيامهم بالنحر فقالت السيدة أم سلمة:

"يا رسول الله اخرج واحلق رأسك وسيحلقون وانحر وسينحرون، ففعل النبي ﷺ كما قالت ففعل الناس كما فعل النبي ﷺ، وأما عن لبس المرأة الثياب الفضفاضة الواسعة ولبسها لحجابها لهو من الرقي والتمدن، فقاطعه أحدهم وقال:

يا أحمد كيف ذلك أتسمي هذا اللباس تمدن ورقي فرد عليه أحمد في هدوءٍ والجميع يضحكون ويتكلمون فقال:

ليسمعني الجميع ألا تلبس العذراء مثل هذا اللباس قالوا:

نعم، فقال أحمد:

إن الإنسان البدائي كان شبه عارٍ أوعارٍ بالفعل ولا يلبس سوي ورق الشجر فبمرور الوقت ومع تقدم الإنسان صار الإنسان يلبس من الثياب ما يغطي عورته ويستر بدنه من الحر والبرد وعيون الناس حتي صار هكذا فلو كشفنا أجسادنا وصرنا عرايا وظهرت عورات النساء أليس هذا بتخلف ورجعية الي ما قبل التاريخ؟

فهمهم الجميع بكلماتٍ لا تسمع وقال أحدهم:

صدقت يا أحمد لقد جاءت الثورة الفرنسية لنا بالعار فمنذ أن قامت هذه الثورة وجاء يوم المرأة العالمي خرجت النساء إلى العمل مثل معارض الأزياء والموضة والدعارة والغناء والرقص فأصبحت الأجور رخيصة لأنهم وظفوا المرأة في أغلب الأماكن في المصانع والمطاعم وصارت المرأة حلاقة وبائعة وخادمة، فأهملت دورها كمربية لأولادها وزوجة فأفسدوا علينا النساء وقالوا عن ذلك حرية المرأة وقال آخر:

فصارت المرأة كقطعة اللحم المعروضة للبيع يراها هذا وذاك فلا هي التي راعت زوجها وأولادها ولا هي التي أفادت المجتمع فقالت ميرنا:

يا سادة اسمعوا إلى ما كتبته "مارلين منرو" قبل أن تنتحر فلقد قالت:

" يا ليتني ما خرجت من بيتي يا ليتني ما سعيت للشهرة أو المجد ليتني كنت خادمة في بيت زوجي أطهو له وأغسل له وأنتظره حتى يرجع فما جنيت شيئاً إلا التعاسة وخيبة الأمل... ألخ" ثم فضت ميرنا الجمع ليذهبوا إلى عملهم وهم قد تأَثروا بكلامهما هي وأحمد ومنهم من أعجبه الإسلام فأسلم، ثم انتهى اليوم ليعود أحمد وميرنا إلى المنزل وبعد جلوسهما مع بعضهما قال أحمد لميرنا :

ماذا فعلت في المصنع الذى سنقيمه في مصر؟

فقالت ميرنا:

لقد انتهينا من شراء الأرض الآن، فقال أحمد:

في أي مكان سيقام المصنع في مصر؟

فقالت ميرنا:

في محافظة الفيوم، فقال أحمد:

إنه مكان جميل ومتى سنبدأ في بنائه؟

فقالت ميرنا:

لقد بدئوا فعلاً في الحفر والبناء منذ إسبوع، فقال لها أحمد:

بالتوفيق إن شاء الله فأنا اشتقت إلى مصر وأود أن أذهب اليوم قبل غد، فقالت ميرنا:

بعد أسبوع سأبعثك أنت وبعدها سأسافر الى هناك حتى نتابع هنا وهناك، فقال أحمد:

لا اذهب إلا معك، فقالت ميرنا:

سأحاول إن شاء ولكن في الأغلب ستكون وحدك.

مرت الأيام تترا وأتى اليوم الذي سيذهب فيه أحمد الي مصر وقبلها تحدث إلى رشوانة وبعث لها من المال الكثير لتشتري بيتاً كبيراً في الفيوم يكون كهيئة "القصور" أو "الفلل"، فاشترت رشوانة المنزل وأكملت ما ينقصها من أشياء وتركت رشوانة سيناء دون أن يعلم الضابط أحمد وأخذ يبحث عنها هناك فلم يجدها وودع

أحمد ميرنا وقال لها لا تتأخري وتعالي في أقصي سرعة وحول بعض الأموال التي كان قد وضعها في البنك في إيطاليا الى مصر على حساب رشوانة.

سافر أحمد ليلاً ليصل إلى القاهرة التي اشتاق اليها وإلى بلده مصر العزيزة على قلبه الغالية، فمر أحمد من المطار بلا توقف أو تفتيش واستقبلته رشوانة بسيارتها التي أوصاها أن تشتريها له، فحمل أحمد ابنه بين ذراعيه وقبله وعانق رشوانة ثم ركبا السيارة وانطلقا إلى الفيوم وبعد برهة من الوقت وصلا إلى المنزل الكبير الملتف بالأشجار داخل سور مرتفع عليه

"أباليك" تضئ ليلاً وبالخارج باب كبير لونه ذهبي والمنزل على هيئة قصر فخم ضخم به عدة غرف "وريسبشن". كبير وحمام سباحة في الحديقة وبعض الأراجيح الكبيرة منها والصغيرة "ومأرب" للسيارات بالأسفل وحارث على المدخل العمومي للقصر كل هذا تم شرائه من قبل رشوانة فلم تنقص منه أي شيء بل أضافت غرف النوم والجلوس والمعيشة وبعض الأشياء كأجهزة كهربائية وأجهزة منزلية ومستلزمات المنزل فدخل أحمد ورشوانة منزلهما لأول مرة، فأعجب أحمد بالمنزل وحمل ابنه محمد وقبل رشوانة وابنه ودخل كل الغرف ليتفقدها غرفةً،

غرفة ورشوانة تدخل غرفة النوم لتضع محمد ابنها على السرير فقد نام من جهد السفر فتزينت رشوانة، ودخل أحمد الحمام ليغتسل من السفر ومشقته ثم خرج فصلى ثم دخل على رشوانة فقبلها بشغف وضمها بحرقة وولع وقال لها أحمد:

لقد اشتقت اليك كثيراً، فقالت رشوانة:

وأنا أكثر لقد كنت من غيرك لا أساوي أي شيء فأنت حبي وقلبي وكلً شيء في حياتي، فقال لها أحمد:

أحبك من كل قلبي يا رشوانة، ثم تعانقا وأقاما علاقة حميمة وبعدها ناما ليستيقظ أحمد في

الصباح على صوت آذان الفجر فأسرع إلى الحمام ليغتسل وتوضأ وبعدها أيقظ رشوانة إلى الصلاة فتلكئت ولم تنهض وأصر أحمد على قيامها فقالت له:

انا متعبة جداً فالولد أرُضعه كذا مرة وأنت نائم فدعني أنام أرجوك، فتركها أحمد ومضى ليصلي في المسجد واقشعر بدنه لما دخل إلى المسجد، فقد افتقد مساجد مصر منذ زمن بعيد فجلس أحمد بعد الصلاة برهة من الوقت تذكر فيها صباه ونشأته وذهب إلى منزله ليجد رشوانة قد استيقظت من نومها فاستقبلته

بالأحضان الساخنة وأخذت تقبله وتداعبه فقال لها هل صليت الفجر؟

فقالت له:

لقد صليت وقرأت الأذكار فقبلها أحمد ومكثا في علاقة حميمية إلى الصباح ثم ناما بعض الوقت ثم استيقظا في الضحى فاغتسلا وصليا ثم ذهب أحمد إلى مكان المصنع فاتصل بالرجل الذى يقوم بإنشاء المصنع وهو صديق كوري لسريانا فتحدث اليه أحمد وكان يدعى "كيم" ويتكلم العربية ولكن بصعوبة فتقابلا في المنطقة الصناعية وصافحا بعضهما وتعرفان على بعض، والحفارات تحفر والعمال يعملون

فتكلم "كيم" مع أحمد عن المساوئ التي وجدها حتى هذا اليوم فدخول الكهرباء تتكلف أكثر من مليوني جنية والمياه أكثر من مليون ونصف وكل شيء معقد وممل فتصريحات ورخص ودفاع مدني وزاد على ذلك هؤلاء الناس الذين يأخذون من كل صاحب مصنع ما يزيد على العشرة آلاف في الشهر فيحاسب أحمد هذا الكوري المدعو "كيم" ويضعا الأسس والمبادئ التي يسيرون عليها ولا سيّما وأنهما سيكونان شريكان في مصنع الورق والنسيج وتتصل سريانا وميرنا بهما على برنامج محادثة "فديوا" ويتحدثان سوياً عن العمل فتحدثت ميرنا أحمد وقالت له:

لقد افتقدتك كثيراً وسوف أذهب اليَّك في اقرب وقت فتقدم أحمد وكيم ومعهما المهندس حسن المسؤول عن بناء المصنعين إلى السور المحيط بالمصنعين وبناء الإدارة لهما فأتى أخيه عليٌّ إلى المصنع ليفتش عن المصنع وما سيكون فأخيه عليٌّ يعمل في جهاز المنطقة الصناعية ولكنهما لا يعرفان بعضهما الا لشيء لفت أنظارهما وأنظار من معه في الجهاز إذ أنهما يشبهان بعضهما، فأراد عليٌّ أن يسأل احمد عن بلده ومن أي البلاد هو ولكنه لم يستطع ولكن أحمد تودد إلى عليٌّ وأخذ يتردد عليه ويّضّيفه في بيته فلما رأي عليٌّ هذا القصر والمصانع التي يتم

انشاءها استبعد ان يكون هذا أخيه فأمأ أحمد وعائلته فينتظرون ويترقبون مجيء أحمد والعثور عليه عما قريب لما عرفهم الضابط أحمد أن أحمد قد عُثر عليه وأنه موجود وقد شاهده في السجن وبعدها هرب من السجن ثم انقطعت صلة الضابط أحمد بأحمد فلما تقابل عليّ والضابط أحمد مع بعضهما فقص على أبيه وأمه ما رأى من تشابه بين على وأحمد فاشتاقوا لرؤيته وقالوا لعليٌ أدعه ليأتي عندنا فسوف نعرفه ويعرفنا فنضت الأيام وتكلمت ميرنا مع أحمد وسألته عن أخبارها فاطمئنا على بعضهما فقال أحمد لميرنا:

أنا في حيرة من أمري فهناك عدة أشياء تكدر على عيشي، فقالت ميرنا:

أيّ شيء هذا يا احمد؟

فقال أحمد:

أود ان أجد نفسي أريد أن أعلم أين أهلي أين أمي وأبي وإخوتي أين يقطنون؟

وفى أي بلد هم أيقطنون في بلد قريبة أم بعيدة عنى

فمن أنا وما هو اسمي الحقيقي؟

أنا لا أعرفه ولا أتذكره فلقد حققت ما أريد من مال وزواج وأطفال وخرجت من السجن وبرئت

وتزوجت بزوجتين كريمتين عزيزتين على نفسي، فقالت ميرنا:

إن شاء الله ستجدهم يا أحمد أو سيجدونك هم، فقال أحمد:

ماذا افعل يا ميرنا أشيري عليَّ فعقلك المتزن الرزين هو ما يجعلني أتحدث معك الآن يا ميرنا فهذا المكان عندما أسير فيه بسيارتي أحس وكأني أعيش فيه طوال عمري، فهناك شيء غريب أحس به هنا، فقالت ميرنا:

يا أحمد استعن بالله وستجدهم إن شاء الله فقال أحمد:

فقالت ميرنا:

دعك مني المهم كيف أخبارك وكم تبقى على وضعك؟ فقالت ميرنا:

بقي شهر يا أحمد، فستأتي الينا أم ماذا ستفعل؟

فقال أحمد:

سأرجع إن شاء الله عما قريب أو تعالي أنت هنا

فقالت ميرنا:

أنت تمزح يا أحمد أنا هنا ليس معي أحد يعينني فقد تركتني بعدما اعتمدت عليك فأدير المصنع الآن بنفسي فأنا بين الحسابات والبيع والشراء وحال الإنتاج وحملي الأول كل هذا جعلني متعبة جداً، فقال له أحمد:

لم يبقي الا القليل يا ميرنا وتضعي حملك، فقالت ميرنا:

أحتاج اليك يا أحمد أشًد الاحتياج فتعالى أنت ورشوانة فأنا أحب أن أراها وأتعرف علىها، فقال أحمد:

إن شاء الله سنأتي إليك، هيا السلام عليكم، فودعته ميرنا وأغلقا هاتفهما وذهب أحمد إلى المنزل فارتمى على السرير وأتت اليه رشوانة مبتسمة، فقالت له:

ماذا حدث يا أحمد ما الذي يتعبك؟

فنامت بجواره وتساءلت قائلة:

ماذا ألَّم بك يا أحمد؟

فقال لها أحمد:

لا شيء يا حبيبتي فأخذت تداعبه حتى نهض وقال لها:

يا رشوانة سنذهب إلى إيطاليا بعد يومين فهيا إذهبي غداً واستخرجي جواز السفر حتى نذهب إلى أخيك حسن، فقالت رشوانة:

وترى أنت أيضاً ميرنا أليس كذلك أم اشتقت اليها؟

فقال لها أحمد:

لا أحب هذه الغيرة الحمقاء فميرنا هذه هي سبب ما نحن فيه من عيش رغيد وكريم يا رشوانة لو رأيتِ ميرنا ستغيرين رأيك فإنها ليست

إنسان بل ملاك سترينها بنفسك، فقالت رشوانة:

بالطبع هي أفضل مني لأنها أجنبية ومتعلمة وعندها المال والمصانع وكل شيء، فاذهب أنت يا أحمد فأنا لن أغادر مكاني، فقال أحمد:

وهو كذلك سأسافر وحدى، ثم ترك رشوانة وخرج ثم ركب سيارته وهام على وجهه فليس له قبلة يتجه اليها وظل يسير بسيارته متجها إلى القاهرة حتى وصل إلى مكان أم "عبده" هذه المرأة التي قامت على تربيته هذه المرأة التي وجدته واعتنت به حتى ماتت فنظر أحمد على

بيتها ثم ذهب إلى قبرها ووقف وقفة دمعت عيناه فيها ثم أخذ يسألها قائلاً:

أجيبي يا أمي لماذا لم تبحثين عن أهلي؟

لماذا لم تسلميني للشرطة فأين أهلي أين؟

أين يا أمي؟

ثم ركب سيارته ومضى مسرعاً ليذهب إلى منزل شيماء هذه الفتاة التي أحبها وسجن من أجلها فأخذ يلقي نظرة على منزلها ثم مضى في طريقه واتصلت عليه رشوانة طوال الوقت ولكنه كان قد أغلق هاتفه ففتح الهاتف فوجدها تتصل فرد عليها، فقالت له:

يا أحمد ارجع إلى المنزل أين ذهبت تعالى يا أحمد سأذهب معك سأفعل ما تريد فقال لها أحمد:

أغلقي فسأرجع بعد قليل ومضى أحمد في طريق العودة قافلاً وفى الطريق يوقفه كمينٌ لأمن الدولة وكان في الكمين الضابط أحمد فعرفه أحمد ولكن الضابط احمد لم ينتبه له ولم يعرفه فقد تغيرت هيئة احمد فسيارة فارهة وملابس أنيقة وتغيير في الجسم والشكل بعض الشيء وزيادة وزنه، فنزل أحمد من سيارته وصافحه قائلاً:

أنا أحمد يا باشا ألا تذكرني، فنظر إليه الضابطأحمد ثم قال:

من؟

أحمد ابن ....وكاد ينطق ابن عمي ولكنه تراجع وتعانقا عناق المحبين ثم قال الضابط أحمد:

أريدك يا أحمد فعندي لك مفاجأة ..فقال له أحمد على كل حال أشكرك على وقوفك بجانبي وأنا في سجني حتى أخذت براءتي فقال له الضابط أحمد:

لا تشكرني فلم أفعل إلا الواجب وستعرف أكثر عندما أقابلك، وقبل أن أنسى أين تقيم حالياً؟ فقال أحمد:

في الفيوم بجانب مصنعي، فقال الضابط أحمد:

هذا جميل ورائع لقد فعلتً الصواب وكيف وصلت إلى هذا كله؟

فقال أحمد:

إنها قصة طويلة سأقصها عليك حين نتقابل، فقال له الضابط أحمد:

خذ رقم الهاتف فمن الجائز أن تحتاج إلي أو إذا قابلتك مشكلة اتصل بي، فسجل أحمد رقم هاتفه وتصافحا وانصرفا أحمد وبعدما مضى أحمد أخذ يجرب الهاتف ليتصل على الضابط

أحمد فوجد الرقم خاطئاً فألقى الهاتف في السيارة وغضب قائلاً:

ها هو الرقم ليس صواباً ولم أعرف له أيً عنوان ثم قال لنفسه:

لا مشكلة سوف أعثر عليه إن شاء الله فوصل أحمد إلى المنزل واستقبلته رشوانة بابتسامة عريضة وقالت لأحمد:

أتهرب منى أين ذهبت؟

فلم يرد عليها أحمد ولم ينظر إليها وتركها ومرَّ إلى الداخل ومضى الليل عليهما بين طيّات الصمت والإرهاق وانشغال العقل بما همه من تفكير وفي الصباح اصطحبا أحمد رشوانة إلى

الجوازات ليستخرج لها جوازاً للسفر وبعدما أنتهى أوصلها إلى المنزل ثم ذهب إلى المصنع ليتابع مسيرة العمل وإلى أين وصل البناء، وأخبر "كيم" والمهندس حسن أنه مسافر إلى إيطاليا عدة أيام وسيأتي قريباً وبعد لحظات أقبل عليٌّ أخو أحمد فنظرا إلى بعضهما وكأنهما ينظران إلى المرآة وخرست الألسنة وبعد عدة ثواني من وقوف عليّ ومن معه وهم يتحدثون مع "كيم" والمهندس حسن وبعد مرور الوقت ينطق عليّ قائلاً لأحمد:

إن أبى يدعوك الى العشاء فهو متلهف لرؤيتك ولم يعلم علىّ كيف خرجت دعوته هذه من لسانه فرد عليه أحمد قائلاً:

وأنا أود ان أراه ولكن بإذن الله سأذهب عندكم عما قريب، وسافر أحمد ورشوانة إلى إيطاليا ووصلت رشوانة إلى إيطاليا فانبهرت مما تراه، فركبا كلاً منهما السيارة التي أرسلتها لهما ميرنا فركبا وذهب إلى المنزل وكان في استقبالهما حسن وسريانا وميرنا، فعانق حسن رشوانة وعانق أحمد ميرنا ثم سريانا وكلاً منهم الآخر وأمسكت ميرنا بيد رشوانة وحملت ابنها "محمد" على ذراعيها ودخلت بها الي الداخل، فرأت

رشوانة صورةً أخرى خلاف ما رسمتها هي في ذهنها عن ميرنا فهذه ميرنا التي تراها الآن كأنها مصرية بكرمها وعفويتها في المعاملة وتقربت ميرنا من رشوانة وظل الحال هكذا أياماً وليالي حتى دبت الغيّرة بينهما فهذا طبع النساء فالغيّرة وحب التملك للزوج من طبعهن، فأحمد حين يدخل على ميرنا وحدهما تغتاظ رشوانة وحين يدخل أحمد مع رشوانة تفعل ميرنا ما تفعله رشوانة.

أتى ميعاد "المخاض" لميرنا فوضعت ميرنا وليدها وحضر وضعها حسن وسريانا وأحمد ورشوانة وسرُ الجميع بالمولود الجديد وسمونه

"مصطفي" تيمناً بالحبيب النبيّ صلى الله عليه وسلم فحمله أحمد بين ذراعيه وأعطاه لجدته سريانا فأخذته سريانا وذهبت به إلى المنزل لتعتني به فتنظفه وتلبسه لباساً جديداً ورجع الجميع من المستشفى فرحين ورجعت ميرنا في ساعتها فقد وضعت بدون أَي جراحة فحملته رشوانة وأرضعته من ثديها مع ابنها محمد ومرت هذه الفرحة سريعاً وكُلٌّ ذهب إلى ما هو عليه من أعمال فواصل أحمد عمله في المصنع فباشر العمال والإنتاج مما جعله يكتسب خبرة في الإدارة واختار أحمد من بين المهندسين من يتولى إدارة المصنع من بعده وأخذ أحمد رشوانة

وذهب بها إلى بعض الأماكن في روما من متنزهات وأماكن أثرية، فتتحدث رشوانة مع أحمد عن هذا كله فقالت له:

كيف تباشر عملك هنا وهناك؟

فقال أحمد:

ليس من الضروري يا رشوانة تواجدنا دائماً هنا أو هناك فلنا إدارة صارمة ونظام محكم لا يدع فرصة في التفريط أو السرقة أو الانحلال

فقالت رشوانة:

يا أحمد هذه الأموال وكل هذا لميرنا وسريانا وحدهما؟

فقال أحمد:

طبعاً يا رشوانة لا يشاركهما أيٌّ أحد غيرهما فكل هذا سيكون لنا كلنا إن شاء الله فحسن أخيك زوج سريانا وميرنا زوجتي وستنجب سريانا عما قريب ويكون لحسن رباط مع سريانا، فقالت رشوانة:

لو كنت مكانك ما ذهبت إلى مصر ومكثت هنا طوال حياتي وسط هذا الجمال والمال وهؤلاء الناس، فقال

أحمد:

لقد ذهبت إلى مصر لأن فيها أنت ومحمد ابني، وبها من أحب وقد عشت عليها وهى مسقط رأسي وبها أهلي، ثم صمت قليلاً وقال فيها أهلي

الذين أبحث عنهم ولم أجدهم في أيّ مكان، فقالت رشوانة:

ستجدهم يا أحمد إن شاء الله، فقال أحمد:

هيا يا رشوانة كي نذهب إلى ميرنا ومصطفى وإياكِ أن تشعريها بأي شيء فأنا سأنام معك ليلة ومعها ليلة كما أمرنا الله أن نعدل بينكما، فقالت رشوانة:

يا أحمد لماذا تنام معها أليست هي نفساء؟

فقال أحمد:

يا رشوانة المرأة لها حالات مختلفة فمن بين هذه الحالات حالتها "الفيسيولوجية" فالمرأة يتغير مزاجها في حيضها ونفاسها وحملها ففي

هذه الحالات تحتاج لعطف الزوج ورعايته لها وتلبية احتياجاتها، فقالت رشوانة:

كما تحب يا أحمد، فقال أحمد:

سأمكث معك في مصر أكثر مما سأمكثه مع ميرنا هنا، فقطع حديثهما وصولهما إلى المنزل، فقد ذهبا أحمد وميرنا إلى كل الأماكن السياحية والأثرية وقضت رشوانة من الوقت الكثير فرأت ما لم تكن تراه من قبل ويمكث احمد مع ميرنا اكثر من شهر فحوّل ماله كله إلى مصر وعزم أن يكون جل وقته في مصر فقال لميرنا:

سوف أسافر إلى مصر غداً وأتركك وأترك مصطفى وسوف تأتين المرة المقبلة إلى مصر

فسأجعلك تعيشين أَسعد أيام حياتك هناك، فقالت ميرنا:

إن أسعد أيامي هي حين أسلمت وعرفت الإسلام ولكن إن شاء الله سأذهب إليك وتأتي اليَّ ولا نفترق أبداً ولا يفرقنا إلا الموت، فقالت أحمد:

هذه هي الدنيا فهي دار الفراق والموت والحرمان، فهي دنيا التعب والبلاء فدنيانا ليست جنة بل دار غرور واختبار، فقالت ميرنا:

البعد يا أحمد يولد الجفاء والنسيان، فقال أحمد:

بل كلما بعدنا عن بعض زاد الشوق والولع، فالمكوث الدائم للزوج مع زوجته شبيه بالسجن المؤبد، فقالت ميرنا:

ما هذا الوصف القبيح يا أحمد فالزوجة الصالحة هي من تجعل من النار جنة وتحول شعث العيش إلى بردٍ وسلام أمّا المرأة التي تعوّذَّ منها النبي "ﷺ" حينما قال: "وأعوذ بك من امرأة تشيبني قبل المشيب"، فهذه المرأة هي من تعاتب زوجها كثيراً وتغضب منه في اليوم أكثر من مرة وتنتظر خطئه، فلا تقُيلُ له عثرة ولا تقبل له عذراً، فيرتفع صوتها وتجعل من نفسها ربّ البيت فتفرض شخصيتها على شخصيته

وتتمرد دائماً، فهذه امرأة غبية متمردة فما أقبحها من امرأة حين تمنع نفسها من زوجها وما أحقرها من امرأة حينما تجهل شرع ربها وتضرب بأحاديث النبي "ﷺ" عرض الحائط حيث يقول "ﷺ" : "من دعي زوجته إلى فراشه فأبت إلا وباتت الملائكة تلعنها حتي تصبح أو كما قال النبي ﷺ"، فقال أحمد:

على كل حال هذه إرادة الله إن شئت عشنا سوياً بأي طريقة وإن شئت فهذه حياتنا، فمرة أذهب اليك ومرة تأتى إلى حتي يأذن الله، فنظرت ميرنا إليه نظرة مفعمة بالحزن والألم على فراقه، فقبلها أحمد في شفتيها وقال لها:

سأفتقدك أنت ومصطفى في بعدى عنكما، فقالت له:

لا عليك فلن تطول مدة غيابنا.

مرَّ الليل سريعاً ليأتي الصباح فتودعه سريانا وحسن وميرنا ويعانقا أحمد ورشوانة الجميع ويعانقونهم بشدة وبتأثر بالغ ويشد أحمد ورشوانة الرحال إلى القاهرة فيستقل أحمد ورشوانة السيارة إلى المطار وبعد قليل يصعدا إلى الطائرة وعلى متنها يدور في خلد أحمد كل شيء، فيتذكر أهله وكيف يجدهم وماذا يفعل مع ميرنا في المستقبل فقد ترك مصطفى الذي

لم يتم سوى شهرين من ولادته فأخذت رشوانة تتحدث معه قائلة بماذا تفكر الآن؟

فقال أحمد:

لا شيء، ولكن بدأت لا أعرف أي طعم للاستقرار وهدوء البال فبعدما حافظتُّ على الصلاة في وقتها ورجعت للإلتزام بدأ يضيق صدري ويمتلأ حنقاً، فطريق الآخرة مملوء بالأشواك والعقبات فأنا الآن بين أن أجد أهلي وأبحثً عنهم وأبذل كل جهد لأجدهم وبين عملي للأخرة، فما أصعب من هذا الطريق فالابتلاءات تتوالى، فأول ما تبدأ بصلاة الفجر ثم قيام الليل وتقرأ وتحفظ في القرآن والسُّنة

وتترك الذَنوب إلا وتلاحقك الاختبارات من فقد لأى شيء أو تغيير في حياتك يطرأ عليك، فقالت رشوانة:

يا أحمد إنك تتعب نفسك بكل هذه الأفكار، حاول على قدر جهدك ودع الباقي على الله، فقال أحمد:

دعكِ من كل هذا وقولي لي:

هل استمتعتِ بالرحلة؟

فقالت رشوانة:

نعم إنها رحلة رائعة بحق لقد استمتعت بها وخاصة مع ميرنا فقد رأيت منها ما لم أراه في

غيرها من النساء بأخلاقها وصفاء سريرتها وحسن منطقها وعذوبة ضحكتها، فقال أحمد:

أتقولين فيها شعراً؟

فقالت رشوانة:

والله ما جاء بغضها في قلبي وما أحسست بغيرة منها فقال أحمد:

أسأل ألله لكما الهداية.

وبعد مرور ساعتين وصلا إلى القاهرة ثم إلى الفيوم فخلدا إلى النوم بعد سفرهم هذا، فالإنسان لا يهنأ بنوم إلا في بيته، فما أحلي ولا أجمل من سبات في النوم في بيتك بعد طول

سفر أو عناء، فاستيقظ أحمد في الصباح، فقالت له رشوانة:

إلى أين تذهب اليوم؟

فقال لها أحمد:

سأذهب إلى المصنع لأنظر ماذا فعلوا وإلى ماذا وصلوا، فقالت رشوانة:

ستأتي مبكراً أم بعد العشاء؟

فقال أحمد:

لا أدري ثم قبلها وقبل ابنه محمد واستقل السيارة ومضى.

فما أجمل من زوجة تبقى معك في الصباح تعد لك إفطارك وتصنع لك القهوة أو الشاي، وما

أحلى وألذ للمرأة من قبلة من زوجها قبل أن يغادر المنزل وبعدما يأتي حتى لو كانت في المطبخ تعد الطعام فهذا يجعل المرأة تحس باهتمام زوجها بها وتقديره لها وأنها أول وآخر شيء في حياته والمرأة الودود هي التي تتصل بزوجها وتطمئن عليه وتترقب وصوله إلى المنزل ولا تأكل حتى يأكل ولا تشرب ولا تنام حتى ينام، فهي التي تحب مجالسته والتحدث اليه والإنصات له إذا تحدث وأن تسمع ما يسمع وتشاهد ما يشاهد وتأكل ما يأكل، لينة الجانب سهلة الطباع قليلة الكلام منخفضة الصوت ولا تفضح سره، فترضى بالقليل ولا تفرح بالكثير

المطمئنة في مشيتها الخفيفة في أكلتها، خفيفة الظل، باسمة الثغر لا تنوح ولا تبوح ولا تكثر البكاء ولا العواء فلا تذكر نسبها ولا حسبها بل تفتخر بزوجها وتنشر محاسنه وتستر مساوئه وتنسى نفسها وتذكره هو، فأهله أهلها وأمه أمها، فلا تحسد ولا تذم، ولا تغتاب ولا تنم، وتكمل هذه المرأة لو كانت صوامة قوامة ذاكرة لربها صائمة شهرها مصلية فرضها، المهتمة بولدها وبيتها وزوجها، وليست بالثرثارة ولا التي تضيع وقتها في العبث والكلام بل كل وقتها ثمين، فهي ذات الرائحة الجذابة والنظافة الملحوظة والنظام الظاهر، فلا تواصل نوم ليلها بالنهار

ولا تلفت الأنظار فتجعل من زوجها رجلاً عظيماً وقلبها له سرير، المعطاءة السخيّة النقيّة، وهذه المرأة قَلّما تجدها الآن أو ربما تجدها، فالحياة بها الكثير

والدنيا ولادّة بالكثير والتاريخ خير شاهد على ذلك فأمنا خديجة ﵂ كانت تتصف بصفات أعظم من ذلك والسيدة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين وكما كمل من النساء أيضاً زوجة فرعون والعذراء مريم البتول أم المسيح عليهما السلام.

وصل أحمد إلى مصنعه فوجد "كيم" والمهندس حسن في انتظاره فهم يعلمون بوصوله اليوم،

واطمئن أحمد على العمل في المصنعين وإلى أي مدى صار فقد أخذ المهندس حسن يصف له ما تم في العمل فقد قاربوا من الانتهاء من أعمال الخرسانة والحفر والبناء وبعد أيام سيبدأون في دخول الكهرباء والمياه وجلب الماكينات من الخارج فتابع أحمد عن قرب ما يحدث ولكن ما لفت نظره وحرك مشاعره سؤال كثير من الفتيات عن عمل، فتَدنيِّ الأجور بين عمال المصانع هنا يحزن القاصي والداني فراتب العامل في أي مصنع هنا لا يزيد على الألف ومائتين جنيهاً مما أحزن أحمد، فهذا الراتب لا يكفي لأي شيء ومع ذلك فالناس تعمل وتبحثً

عن عمل هنا وبهذه الرواتب المتدنية في وسط الغلاء وتفاقم الأسعار في مصر، فكيلو السكر أصبح بخمسة عشر جنيها وكيلو اللحوم أصبح بأكثر من مائة جنيهٍ والدولار الأمريكي أصبح يعادل عشرون جنيهاً وفى الصاعد فالأسعار تزداد والإنسان المصري يصبح أرخص شيء ليس له قيمة ولا ثمن فارتفعت أسعار الأدوية والسلع التموينية من زيت وسكر ووقود ومواد البناء وكل شيء زاد الضعف، والمرتبات كما هي والدخل كما هو فلا زيادة ولا بدلات حتى، الغسيل الكلوي منعوه من المستشفيات فعدد الناس زاد والناس تتكدس على جانبي النيل فلا

حلول ولا مخرج فالناس يشيدون المنازل في الحقول الزراعية فقلَّ الناتج الزراعي ولكن ما الحل؟

فهذه الجبال تئن من الخراب والعزلة والإبعاد، فماذا لو شيدنا الكثير من الوحدات السكنية ويدفع الناس ثمنها وبنينا لهم مصانع بجانبها ووفرنا لهم ما يحتاجونه من ورشٍ ومحلات ومخابز، أليس هذا حلٌ بديل لما نحن فيه؟

فإننا نشكو من كثرة السكان، أنحن أكثر من الصين؟

فهم تعدوا المليار نسمة أما نحن فلم نتعدى المليون نسمه، فما الفرق بيننا وبينهم إن في

الصين تنمية بشرية بمعني أن كل مواطن يساوي منتجاً، فلا يكون عبئاً على الدولة فهم يعطون قرضاً إن لم يوجد معه المال ويفتحون لهً مشروعاً ويساندوه حتى يقف على قدميه فًبهذا الحل صار كل فرد من الصين يساوي منتجاً حتى صنعوا لنا المسبحة والعباءة وفانوس رمضان وسجادة الصلاة أما نحن إذا أقرضنا أحداً من الذين يريدون أن يقيموا أي مشروع قرضاً، فنطلب منه إثنين من الموظفين ليضمنوه وتحول رواتبهم الى البنك والسداد من أول شهر، أي لا ولن تأخذ قرضاً، فمن ذا الذى يضمنك حتى ولو كان أخوك أما أصحاب القرى

السياحية والثروات الغنية فلوا طلبوا المليارات من الجنيهات لأعطوهم مع التسهيل في السداد وربما أخذوا القرض وفروا به إلى الخارج في بنوك سويسرا وغيرها من الدول الأوربية والشرقية، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم فهم يتقدمون إلى الأمام ونحن نرجع الي الوراء، فنحن نتقدم في الموضة ونقلد تقليداً أعمي فنتقدم في الدعارة والرقص والقتل حتى صارت دول المسلمين تنتشر فيها الدماء في كل مكان فدماء في سوريا وقتل في العراق ومجازر في ليبيا واحتلال في لبنان وفلسطين وفتن في اليمن وتونس والسعودية،   فالعالم يتمتع بالتقدم والرقى

والحضارة الحديثة من عيش كريم وتكنولوجيا الاتصالات والبرمجيات وصناعة السلاح والمعدات والآلات في شتى المجالات، لكننا ما زلنا نستورد منهم أحقر المنتجات حتى القلم الذى نكتب به ورغيف الخبز الذى نأكله، فلا حاضر لأمة تجهل ماضيها ولا ماضي لأمة تلعن حاضرها.

كل هذا تحدث به أحمد مع المهندس حسن ولم يوقفه عن الحديث الا مجيء المهندس عليّ أخيه الذى ما زال كلاهما لا يعرفان بعضهما فتصافحان بحرارة بالغة وبعناق شديد ثم صافح كيم، وحسن، وأخذوا يتحدثون عن

العمل وما بقي من الإجراءات وفى نهاية الحديث أصر عليّ أن يستضيف أحمد في بيته لكن أحمد اعتذر لبعض شؤونه وانشغاله اليوم وقال له سأزوركم في المرة المقبلة.

انتهى النهار ومضى أحمد إلى المنزل بعد يوم شاق مع العمال وهنا وهناك ودخل المنزل واستقبلته رشوانة بابتسامتها الهادئة فخلعت له حذائه وأحضرت له كوباً من الليمون الذى اعتاد على تناوله خاصة في الصيف، وأحضرت له ايضاً كوباً من "الشاي" فتناول الكوبين وخلع ملابسه كالعادة واغتسل من شعثه وبعدها صلى العشاء وهو متعب فأحمد يتنقل من هنا

الى هناك ليحرك عجلة العمل كما لو كان لا يتحرك الا به وبعدها داعب طفله وحمله على ذراعيه وتناول العشاء وداعب رشوانة وقضيا بعض الوقت يتحدثان مع حسن وميرنا وسريانا ليطمئنا عليهم وراجع أحمد شؤون المصنعين ثم ناما.

وفى اليوم الثاني سافر أحمد إلى الميناء ليأتي بالماكينات من هناك من الإسكندرية وفى هذا اليوم أتي الضابط أحمد ليسأل عنه في العمل فلم يجده فذهب إلى منزله ليجد المنزل الفخم الضخم وما به من أبهة، فوجد رشوانة في المنزل فسر بها وصافحها ثم قال لها:

قولي لأحمد أني قد أحضرت له مفاجأة، فقالت له:

ما هي المفاجأة؟

فقال لها:

إنها مفاجأة سارة، ولن أبوح بها إلا له، ثم انصرف.

وبعد ساعات أتى أحمد إلى المصنع وقد خلصّ الماكينات والمعدات من الجمارك وفى انتظاره المهندس حسن وكيم وبعض العمال، وظل هناك حتى الساعة التاسعة مساء وبعدها عاد أحمد إلى منزله فسألته رشوانة لما هذا التأخير؟ و لماذا لم تتصل؟

فقال لها أحمد:

كنت في شغل دائم لم أسمع أي شيء، فأحضرت له الطعام والشراب بعدما اغتسل ولما فرغ من ذلك كله اتصلت ميرنا فأمسكت رشوانة الهاتف وتكلمت مع ميرنا فسألتها ميرنا عن أخبارها ثم أعطت الهاتف لأحمد فأخبرها عن وصول الماكينات ثم اطمأن على ابنه وعليها ومن معهم وبعدما أنهى معها المكالمة إذا بالحارس يخبره بوجود الضابط أحمد خارجاً فأمره أحمد بأن يدخله فوراً فدخل الضابط أحمد وصافح أحمد وعانقه ثم جلسا فاطمئنا على بعضهما ثم أبلغه الضابط أحمد أنه نقل

الى الفيوم بجوار عائلته هنا، فمسقط رأسه هنا، فشكره أحمد على وقوفه دائماً بجانبه فأقرَّ له الضابط أحمد بأن ما يربطهما ببعض أعظم من ذلك فتعجب أحمد ثم قال له الضابط أحمد:

ستعرف غداً عندما أزورك في الصباح فأنت الليلة متعب من سفرك، ثم قام الضابط أحمد وذهب، وتركهما فيما سيشغلهما طوال الليل، فأحمد بين تعبه طوال النهار وبين ما قاله الضابط أحمد قد جفاه النوم، فقد ذهب الضابط أحمد وترك احمد ورشوانة في حيرة وقلق فتساءلت رشوانة:

ماذا يخبئ لنا ولماذا أتى ولماذا سيأتي غدا؟

فقال لها أحمد:

بعد ساعات نعرف كل شيء واستلقيا أحمد ورشوانة على السرير ولكن عقلهما ما زال مشغولاً ولكنهما ناما قبل الفجر بقليل من انشغالهما بما أعده له الضابط أحمد، واستيقظ أحمد ورشوانة في الصباح وأعدت رشوانة الطعام والشاي وانتظرا مجيء الضابط أحمد وبينما هما كذلك قرع الضابط أحمد جرس الباب ففتح الحارس ودخل الضابط أحمد ومعه عليّ فصافح أحمد كلاً منهما ثم جلسوا سوياً فرحب بهم أحمد ثم تناولوا بعض

الشاي ورشوانة تترقب ما يحدث وتتنصت إلى كلامهم فلا تسمع الا الكلام المعهود، وبعد برهة من الوقت استعجلهم الضابط أحمد فقال لهم:

هيا يا أحمد بدّل ملابسك فعندنا لك مفاجأة، فتساءل أحمد قائلاً:

سنذهب إلى أين؟

فقال له عليّ:

ستعرف بعد قليل، فقال أحمد:

وهو كذلك سأبدل ملابسي فوراً

وبعدها خرج الجميع الى الخارج فاستقلَّ أحمد سيارته ومعه الضابط أحمد وعلي في السيارة الأخرى وفى الطريق نظر أحمد إلى الضابط

أحمد فهو يريد أن يقرأ ما في عينيه فنظر اليه الضابط أحمد مبتسماً وأخرج له صورة من حافظة كانت لأحمد، فقد سُرقت منه في "السويس" ثم أعطى الصورة لأحمد وقال له:

أتذكر هذه الصورة فنظر أحمد فيها وقال له:

كيف عثرت عليها أنا لم أنساها أبداً؟

فقال له الضابط أحمد:

دعك من الحافظة وانظر إلى هذه الصورة، فنظر أحمد إلى الصورة ثم قال:

إن ما بها صورة أبويَّ وأنا معهما، فقال له الضابط أحمد وهو يبتسم:

وانظر إلى هذه الصور أيضاً، فنظر إليها أحمد وقال له في تعجب:

إنها نفس الصور لأبي ولكنها في كبره، فقال له الضابط أحمد:

نحن هنا بسبب هذه الصور، فهيا توقف عند هذا المنزل، فقال أحمد:

أتوقف هنا؟

فقال الضابط احمد:

نعم هنا، فوقف أحمد ونظر إلى الشارع وإلى المنازل فكأنها تذكره بشيء فقال له الضابط أحمد:

هيا انزل يا أحمد هيا، فنزل أحمد ونزل عليّ من سيارته وساروا نحو المنزل فسألهم أحمد:

منزل من هذا؟

فأجابه عليّ:

إنه منزلي ومنزلك، هيا ادخل يا أحمد، فدخل أحمد وإذا بأبيه وأمه وأخيه محمود داخل المنزل ينتظرونه ولكن ملامحهم تغيرت بعض الشيء لما كبروا فأسرع عليه أبيه وعانقه ثم عانقته أمه وأخيه محمود وعلىّ وانهمرت الدموع وقبل أحمد رأس أبويه وعرف الضابط أحمد نفسه بأنه ابن عمه، فعمت الفرحة ونطق أحمد قائلاً:

أخيراً وجدت أبوي وإخوتي، فها أنا اليوم أسعد إنسان على ظهر الأرض، فالحمد لله الذى جمعنا بعد فراق، ثم أخذ أخيه عليّ يذكرهم بقصص أمهم عن سفرهم إلى ليبيا وما لاقوه هناك فسعد الجميع واكتمل المصنع وتلاقى كل من يعرفهم أحمد في بيت أبيه، فقد جاءت ميرنا ورشوانة وسريانا وقضوا بعض الأيام معهم في لقاء عائلي كبير وسعيد.

للنشر والتوزيع

لمزيد من الروايات يرجى زيارة موقعنا:

[site]

[facebook]

[Google Play]